دكتور

عبّاس علي السّوسْوَة

فِقهُ اللُّغةِ والثّقافةُ العربيّةُ

دار غريب

فقه اللغة والثقافة العربية

فقه اللغة والثقافة العربية

دكتور

عباس علي السُّوسُوَة

أستاذ اللسانيات بجامعة تعز



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

السوسوة، عباس علي.
فقه اللغة والثقافة العربية / عباس علي السوسوة. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨
١٦٠ ص؛ ١٨ سم
تدمك ٣ - ٠١٦ - ٤٦٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - فقه اللغة العربية
- العنوان ٤١٠

الكتـــــاب : فقه اللغة والثقافة العربية.

المــؤلـــف : عباس علي السوسوة

رقم الإيداع : ٢٢٩٣٧ / ٢٠٠٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٩

الترقيم الدولي : 978 - 977 - 463 - 016 - 3

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للمؤلف ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أي قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابي من المؤلف

النـاشـــــر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع: ١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
ت ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٢٣٤

التـــوزيـــع : دار غريب ٣ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة
ت ٢٥٩٠٢١٠٧ - ٢٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٢٦٢٨١٤٢ - ٢٢٦٢٨١٤٣

www.dargharceb.com

فهرست المحتويات

❁❁❁

مقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته المنتجبين. أما بعد:

فهذا الكتاب يضم ثمانية أبحاث، نشر منها خمسة من قبل.. يجمع بينها رباط واحد، هو مساءلة بعض المسلمات السائدة في ثقافتنا العربية، وهذه المسلمات ننزع عنها هذه الصفة ونحاكمها بميزان العقل، وميزان العصر الذي أنتجت فيه. ولم يكن هذا بالأمر السهل؛ لأن ثقافتنا المعاصرة طابعها الاجترار وعبادة الأسماء الكبيرة من السلف والخلف مع آرائهم ولو خالفت المعقول والمنقول.

سميت الكتاب «فقه اللغة والثقافة العربية»؛ لأن بعضها خاص بالدرس اللغوي عند القدماء والمتأخرين من القدماء والمحدثين، وبعضها الآخر متعلق بأوهام عند مؤرخي أدبنا القديم، أو عند مترجمينا الذين يعيب بعضهم بعضًا في حين أنه يقع في أكثر مما رمى به غيره. وقدمت الأسطورة المعتصمية على غيرها؛ لأن فيها شرحًا أظنه وافيًا عن الأسطورة، ثم تلتها بقية الأبحاث.

وأبدأ بذكر الأبحاث المنشورة:

١- الصحاح هل اقتصر على الصحاح. مجلة بحوث تعز، العدد الأول ١٩٩٨م، ص ٦٠- ٧٥ .

٢- المستشرقون وخبز الشعير المذموم. مجلة (جذور) - النادي الأدبي الثقافي، جدة. العدد ١٢، مارس ٢٠٠٣م، ص ٢٩-٥٢ .

وقد حذفتُ منه الملاحظات والتصويبات المتعلقة بالعددين السابقين من المجلة، وأضفتُ تذييلاً طويلاً عن جهود المستشرقين الألمان في تحقيق التراث العربي. مأخوذًا من كتاب أستاذنا محمد عوني عبد الرءوف.

٣- عن النسق المضمر في تاريخ الأدب العربي. نشر في مجلة (علامات في النقد)، العدد ٥١، مارس ٢٠٠٤م، ص ٩٥-١١٢ .

وقد حذفتُ منه المقدمة التي تتناول مسيرة أعوام من هذه المجلة الصادرة عن النادي الأدبي في جدة. وأضفتُ إليه تذييلين للزميلين العالمين: سامي سليمان أحمد، ومحمد عبد المجيد الطويل.

٤- اللسانيون التراجمة يقولون ما لا يفعلون. نشر في (علامات في النقد) العدد ٥٣، سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ٨١-٩٦ .

حذفتُ منه التصويبات النحوية والصياغية، والتعليقات القصار على بعض أبحاث (ملتقى النص) الخاص بالترجمة .

٥- تشريح أسطورة: نخوة المعتصم: نشر في (جذور) العدد ٢٣، مارس ٢٠٠٦م، ص ١٥٥-١٧٢ .

ولم أحذف منه شيئًا، وأصلحتُ بعض هفوات الطباعة. وزدتُ عليه ذيلين: عنوانين لتلميذنا إبراهيم محمد طلحة .

أما غير المنشور فثلاثة أبحاث:

- سطوة آراء السيوطي والبغدادي على المحدثين في قضية الاحتجاج بالشعر القديم .
- فصحاء من اليمن حتى القرن الثالث عشر الهجري.
- رهاب العربية الفصحى.

ولم ألحق بالكتاب قائمة مصادر ومراجع؛ اكتفاءً بما جاء في كل بحث على حدة؛ فالإحالات فيها مستوفاة .

ولا أختم هذه العجالة قبل أن أذكر ديوني لأهل الفضل عليَّ في هذه الأبحاث، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء.

أولـهـم: شيخي الجليل الأستـاذ الدكتور محمد عوني عبد الرءوف، أستاذ علوم اللغة في كليـة الألسن - جامعة عين شـمس. وعميد الكليـة السابق (ولا أقـول الأسـبق)، فقـد غـذّاني بكثـير من الكتب والأبحـاث، وأشـار عليّ في محاوراتي معه مشورة نافعة .

وثانيـــهم: الأستـاذ عبد الـفتاح أبو مـدين، رئيس تحرير مـجلتي (جذور) و(علامات في النقد)، فقد احتفى بكتاباتي في المجلتين، واقترح عليّ الكتابة في بعض الموضوعـات، وأحسن بي الظن فطلـب مني تصحيح (تاريخ كـيمـبردج للأدب العربي). وقد استأذنته في إعادة ما نشرته مجلتا النادي فأذن.

وثالثهم: الصديق الناقد الناقم/ محمد ناجي أحمد، الذي يجمعني به الهم المعرفي الدائم، وقلة الـصبر على طعـام ثقافي واحد، والتـساؤل الدائم الذي لا يهدأ.

ورابعـــهم: طلابي من كلية التربيـة - جامعة تعز، دفـعة يوليو ١٩٩٤م التي كـانت دفعـة ذهبيـة، ثم دفعـة يوليـو ١٩٩٥م التي كانت برونزية (الفـضيـة لا توجد).

وخامسهم: مجمـوعة من طلابي النابهين في كليتي* التـربية والآداب، كانت محاوراتهم الدائمة معي من حوافز الكتابة في هذه الموضوعات. أذكر منهم:

تامر عبد الودود محمد .

دعاء أحمد راوح .

عبد الرقيب محمد عبد اللّه .

فتحي أحمد صالح الشرماني.

قدرية سهل إبراهيم عمر .

حياة علي إبراهيم حسن .

والله أسأل أن ينتفع القراء بما في هذا الكتاب، كما أسأله المغفرة من زلات اللسان وفلتات القلم . آمين .

وكتب/ أبو الزهراء، وشيماء، وعلياء، وفاطمة، ومحمود، والخليل و/ زينب

عباس علي السُّوسْوَة

أستاذ اللسانيات

جامعة تعز - الجمهورية اليمنية



تشريح أسطورة
نخــوة المعتصــم

تشريح أسطورة: نخوة المعتصم

(١)

الأساطير موجودة عند كل الشعوب، وغاية الأمر أن أنواعها قد تختلف بحسب حاجات الشعوب النفسية. وعلماء الفولكلور (= المأثورات الشعبية) يميزون تمييزاً حاسماً بين نوعين لكل منهما مصطلحه.

فهناك (Myth) وهي قصة تفسر ظاهرة كونية معينة أو مجموعة ظواهر؛ كنشوء الكون أو الأرض، وتعاقب الليل والنهار، أو فصول العام، أو نزول الأمطار، وحدوث الزلازل والبراكين وما شابه ذلك. وهذه تعود في نشأتها إلى زمن موغل في القدم، عندما كان الإنسان يخلع عليها من نفسيته بما فيها من آمال ومخاوف ورغبات الشيء الكثير، ولم تكن طبيعة عصره تسمح له بتفسير علمي سليم لها، كذلك لم يكن لديه كتاب سماوي يوضح له ذلك. وهذا النوع منه: أسطورة البطل المؤلَّه كقصة جلجامش السومرية البابلية ومنه الأسطورة الطقوسية كقصة إيزيس وأوزيريس وحورس عند قدماء المصريين، ومنه الأسطورة الرمزية كأكثر أساطير اليونان: نرجس، وكيوبيد، وأوديب.

وهناك (Legend) وهي قصة تقوم - في الغالب - حول شخصية لها وجود تاريخي متعين، لكنها ترفعه إلى مستوى الإنسان الخارق، وتخلق له بيئة وأشخاصاً متعددين: أعداء وأصدقاء، ويمضي في مغامراته حتى يتمها. ومثل ذلك ما سموه عندنا (السيرة الشعبية)، كسيرة عنتر بن شداد، والزير سالم، والهلالية، والملك سيف بن ذي يزن. وغيرها .

وإذا كان النوع الأول قد كفّت الشعوب المختلفة عن إنتاج الجديد منه، وتفتت موضوعاته وشخوصه في الحكايات الخرافية والشعبية؛ فإن النوع الثاني

مازال موجوداً عند من يعتنقه، بل هي حقيقة قارّة لا يعتورها الشك؛ بل إن المشكك فيها كالمشكك في حقيقة دينية أو قومية .

ونحن في هذا البحث سنقوم بتشريح أسطورة شائعة بين العرب المعاصرين، هي أسطورة (نخوة المعتصم). وبالطبع فالتشريح ليس عملاً محبّباً لدى نفوس الكثيرين، لكنه السبيل الأسلم - فيما نرى- لمعرفة الحقيقة.

(٢)

منذ وعيت - إلى حد ما - الواقع السياسي العربي. وأنا أسمع خطباء المساجد، وخطباء المناسبات القومية يركزون على (نخوة المعتصم) التي انعدمت عند قادة المسلمين وعند قادة العرب المعاصرين، في حين أن هذه (النخوة) هي السبيل إلى تحرير الأرض المحتلة سواء في فلسطين أو في غيرها من بلاد المسلمين، بل ينبغي أن تكون موجودة، بحيث لو صرخ مسلم مظلوم في أي ركن من المعمورة: وامعتصماه! كان هناك من ينجده من فوره قائلاً: لبيك .

ولا يقف الأمر عند الخطباء، فقد شاهدنا وسمعنا عشرات التمثيليات الإذاعية والتليفزيونية تصور الأمر على أنه سمة شخصية فردية متعلقة بالمعتصم. ورغم الاختلافات الهامشية بينها فإنها تتفق على الآتي:

١ - امرأة مسلمة في مدينة عمورية من بلاد الروم يلطمها جندي رومي.

٢ - المرأة تستغيث صارخة: وامعتصماه!

٣- الجندي الرومي يسخر منها ومن المعتصم الذي يبعد عنهما مسافة شهر وأكثر .

٤ - يصل الخبر إلى الخليفة المعتصم وهو في مجلس لهو وشراب، فتأخذه (النخوة)، فيترك الكأس التي في يده دون أن يتم شربها ويصرخ: لبيك يا أختاه!

٥- يقوم المعتصم فوراً ويجر وراءه جيشًا كبيراً لا يتوقف عن السير حتى يصل إلى عمورية، فيحاصرها ويفتتحها عنوةً. ويصل إلى المرأة قائلاً: لبيك!

٦- يعود المعتصم إلى مقر ملكه ويكمل شرب الكأس!!

بعضها يعدّل المشهد السادس؛ فنرى المعتصم يمسك بالكأس ثم يعاهد الله على أن ذلك آخر عهده بالشراب المحرّم، ويُلقي بها في الأرض.

سيلاحظ القارئ الكريم أن المشهد الذي يبدأ فيه (البطل) عملاً ما: شرب كأس، إتمام طبخة، كتابة سطر أخير في صفحة، إكمال جزّ العشب في حديقة- ثم يفجؤه طارئ يعجله عن إكمال ما بدأ ثم يعود بعد إنجازه. لهو متوفر في الأفلام الإيطالية التي سميت (ويسترن إسباجيتي) ومن أبطالها: جوليانو جيما، أنتوني ستيفن، تيرنس هل، بود سبنسر، توماس ميليان. جورج هلتون، جوردون سكوت، ستيف ريفز، كما هو موجود في أفلام العميل (٠٠٧) جيمس بوند بأبطالها: شين كونري، جورج مور، تيموثي دالتون، ولا تخلو منه أفلام الحركة التي يمثلها: مل جبسون، بروس ويليس، جان كلود فان دام، هاريسون فورد، أرنولد شوارزنيجر. ويحق لنا نحن العرب أن ندعي حقوق الطبع والملكية الفكرية، كما هو دأبنا. لكن أحدًا لم يفعل.

(٣)

النخوة التي تصورها الأسطورة تعني: الحميّة، وسرعة النجدة، والمبادرة إلى فعل الخير طوعًا دون أن يكون للفاعل مصلحة شخصية. وهذا المعنى للنخوة غير موجود في المعاجم العربية القديمة[١]، رغم وجوده في الكتابات العربية القديمة، ثم عند العامة بعد ذلك.

---

(١) وكم للمعاجم القديمة من مفاجآت! تصور أن (اكتشف) تعني (توصل إلى شيء جديد) لا يوجد بها. كأن نقول: اكتشف نيوتن قانون الجاذبية. فسر في القاموس المحيط (مادة كشف) عبر: اكتشف الكشح الصحة ترا عليها. وتكشفت المرأة لزوجها: بالغت في التكشف. اهـ

ولذلك لاحظ حظا المصححين اللغويين الذين لا يرون صحة لفظ إلا إذا ورد في المعاجم

ونطلب من قارئنا الكريم الصبر ونحن نتجول في المعاجم القديمة وعباراتها ومتاهاتها.

- جاء في الجمهرة لابن دريد[1]: نُخي الرجل فهو منخو والاسم النخوة.

- وفي الأساس للزمخشري (مادة نخا)[*]: نخي فلان فهو منخو: مزهو. وانتخى من كذا: استنكف منه (...) .

- والمادة غير موجودة في المصباح المنير للفيومي .

- وفي لسان العرب[2]، أكبر المعاجم القديمة، أفرغ فيه ابن منظور مواد خمسة من كتب اللغة نجد ما يلي:

النخوة: العظمةُ والكبرُ والفخرُ. نخا ينخو وانتخى ونُخِيَ وهو أكثر .

وأنشد الليث: وما رأينا معشرًا فينتخوا .

الأصمعي: زُهِيَ فلان فهو مزهو ولا يقال: زها . ويقال: نُخِيَ فلانٌ وانتخى ولا يقال: نخا. ويقال: انتخى فلانٌ علينا، أي: افتخر وتعظم، والله أعلم. اهـ.

قال عباس: هذا كل ما في هذه المادة.

- في القاموس: نخا ينخو نخوة: افتخر وتعظم. نُخي كعُني، وانتخى. وانتخى فلانًا: مدحه. وأنخى زادت نخوته .

---

(1) ابن دريد: جمهرة اللغة، بعناية محمد يوسف السورتي وفريتس كرنكو، حيدر أباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ ج٢ ٢٤٤.

(2) ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف ٧٧-١٩٨١م مادة (نخا) ص ٤٣٧٩ والكتب التي اعترف بتوزيع مادتها في كتابه ١ صحاح الجوهري ٢ حواشي ابن بري على الصحاح ٣ المحكم لابن سيدة ٤ التهذيب للأزهري ٥ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري

(*) لم يذكر جمهرة اللغة لابن دريد رغم أن اسمه قد تكرر في مواد المعجم ٥٦٧ مرة! ولم يذكر المنجد لكراع النمل رغم تردد اسمه أكثر من ثلاثمائة مرة

وليس في (تاج العروس) من زيادة إلا استدراك استنكف منقولاً من الأساس!

- وأما في (المعجم الوسيط) - وهو معجم حديث صادر من المجمع القاهري- فنجد معاني: الفخر والعظمة والتكبر والاستنكاف مرتبةً. ثم «النخوة الحماسة والمروءة» ونحمد الله على أن وفقه إلى هذه الزيادة المفيدة.

لنتابع الآن في كتب التاريخ التي أرخت للمعتصم، لنرى أكان فتح المعتصم لعمورية - ولغيرها - مجرد نخوة شخصية استجابةً لاستغاثة امرأة مسلمة باسمه، أم إن الأمر غير هذا. وسنقسم النص المنقول إلى فقرات حاذفين منه ما لا يتعلَق بالقضية التي نحن بصددها.

(٤-١)

نبدأ بأقرب المؤرخين زمنًا من عصر المعتصم (٢١٨-٢٢٧)، وهو أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت ح ٢٨٤هـ)[١] ففيه:

(٢/ ٤٣٦) ودخلت الروم زِبَطرَة سنة ٢٢٣ فقتلوا وأسروا كل من فيها وأخرجوهم.

فلما انتهى الخبر إلى المعتصم قام من مجلسه نافرًا حتى جلس على الأرض، وندب الناس للخروج (...).

وخرج يوم الخميس لستٍّ خَلَونَ من جمادى الأولى سنة ٢٢٣هـ. ودخل أرض الروم فقصد أرض عمورية - وكانت من أعظم مدائنهم وأكثرها عدة ورجالاً، فحاصرها حصارًا شديدًا (...).

(٢/ ٤٣٧) وفتحت عمورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٢٢٣، فقتل وسبى جميع من فيها. وأخذ ياطس خال ملك الروم، وأخرب وأحرق كل ما اجتاز به من بلادهم. وانصرف . اهـ.

(١) اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، بيروت. ط الأعلمي ١٩٩٣م

(تعليق): رأى القارئ أن الروم هاجموا زبطرة - لا عمورية - وهي من بلاد الروم وتحت حكم المعتصم، وأن هؤلاء ارتكبوا فيها المذابح. وحتى يصل الخبر إلى مقر الخلافة - حسب طبيعة العصر - لابد أن يأخذ أكثر من أسبوعين إذا بالغنا وأن الخروج للقتال استلزم وقتًا للتعبئة. وأن بين خروج المعتصم وفتح عمورية أكثر من أربعة أشهر. وألاّ ذكر لمرأة استغاثت، ولا لكأس أهرقت. فالمصيبة أعظم من لطم امرأة.

(٤-٢)

وننتقل إلى أبي جعفر محمد بن جرير الطبري[1] (ت٣١١هـ)، الذي لديه تفصيلات أكثر.

أوقع تيوفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة فأسرهم وخرب بلدهم.

حصّن

ومضى من فوره إلى مَلَطْيَة فأغار على أهلها وعلى أهل حصّون من حصون المسلمين إلى غير ذلك، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل أعينهم، وقطع آذانهم وآنافهم.

فلما دخل ملك الروم زبطرة وقتل الرجال الذين فيها وسبى الذراري والنساء التي فيها، وأحرقها؛ بلغ النفير - فيما ذكر - إلى سامرا وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة وأهل الجزيرة (هكذا مكررة) إلاّ من لم يكن عنده دابة ولا سلاح.

واستعظم المعتصم ذلك. فذكر أنه لما انتهى إليه الخبر بذلك صاح في قصره النفيرُ، ثم ركب دابته وسمّط خلفه شكالاً وسكة حديد وحقيبة، فلم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبئة. فجلس - فيما ذكر - في دار العامة (...).

---

(١) الطبري. تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، جـ٩ / ٥٥-٧٠، وقارن بطبعة الأعلمي، بيروت جـ٧ / ٢٦٢-٢٧٥.

ثم عسكر بغربي دجلة، وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى

ووجّه عجيف بن عنبسة وعمراً الفرغاني ومحمد كوته وجماعة من القواد إلى زبطرة إعانة لأهلها فوجدوا ملك الروم وقد انصرف إلى بلاده (...)

ودبّر (الأفشين من قواد المعتصم) النزول على أنقرة، فإذا فتحها الله عليه صار إلى عمورية، إذ لم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين.

وبعد ذلك إطالة في وصف العمليات الحربية إلى أن تم النصر.

(تعليق ثانٍ): إضافة إلى ما قلناه في التعليق الأول، نجد أن المواطنين في المناطق القريبة من الأحداث كانوا أسرع في الاستعداد لرد العدوان، كما نجد أن هناك حملة تأديبية استكشافية عليها ثلاثة قواد وصلوا وقد أخلى العدو الموقع، وأن الحملة سلكت طرقًا مختلفة خُطط لها سبقًا، بحيث تأتي الضربات في أكثر من منطقة رومية كأنقرة مثلاً.

(٤-٣)

ثم ننتقل إلى علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ)[1] :

خرج توفيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر (هكذا) والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم حتى نزل على مدينة زبطرة (...) وأغار على بلاد ملطية، فضج الناس في الأمصار واستغاثوا في المساجد والديار.

فدخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم فأنشده قائمًا قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل عن وصفنا، ويحثه على الانتصار (...).

(١) المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة المكتبة التجارية ١٩٥٨، جـ٤/٥٩-٦٠

(...) وسار المعتصم من الثغور الشامية (...)

ولقي ملكُ الروم الأفشين فحاربه، فهزمه الأفشين، وقتل أكثر بطارقته وأصحابه.

وفتح المعتصم حصونًا كثيرة، ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه، وخرج إليه لاوي البطريق منها وسلمها إليه. وأسر البطريق الكبير منها وهو ياطس. وقتل منها ثلاثين ألفًا. وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق.

(**تعليق ثالث**): رأينا أن مؤرخي القرنين: الثالث والرابع لم يذكروا قصة المرأة ولا الكأس. لكننا لا نعدم أن نجد مؤرخًا بينه وبين الحدث أكثر من أربعمائة سنة يذكر هذه القصة. ذلك هو عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)[1]، رغم أنه ينقل بالحرف أحداث السنين الواقعة قبل عام ٣٠٠هـ من تاريخ الطبري.

ففي (حـ٦ / ٤٩٧) ذكر خروج إلى الروم إلى زبطرة.

وفي (حـ٦ / ٤٨٠-٤٨٨) ذكر فتح عمورية. ينقل عن الطبري بالحرف ماعدا أول الخبر «لما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الإسلام ما فعل، بلغ الخبر إلى المعتصم. فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه. وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم: وامعتصماه! فأجابها وهو جالس في سريره: لبيك لبيك! ونهض من ساعته وصاح في قصره: النفير النفير. ثم ركب دابته وسمّط خلفه شكالاً وسكة حديد وحقيبة فيها زاده، فلم يمكنه المسير إلاّ بعد التعبئة (...) إلخ.

لا تعليق!

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، جـ٦

(٤-٥)

بعد ذلك نجد المؤرخين لعصر المعتصم - على اختلاف طرائقهم - لا ينقلون هذه الزيادة الموجودة عند ابن الأثير، ومنهم الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)[١] . ولم يشذ عنهم غير ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الذي صدع رءوسنا في (المقدمة) بانتقاده من سبقه من مؤرخي المسلمين، وبحديثه عن أهمية قوانين العمران البشري، وجعلها معياراً لقياس صحة الوقائع فهو هنا - كما في كل تاريخه أو معظمه - ناقل، دون تمحيص، عبارة ابن الأثير، ولم يتساءل ما قيمة صرخة واحدة أمام آلاف القتلى وآلاف الأسرى من المسلمين؟ وتهديد صريح للدولة؟ نقل: «بلغ توفل زبطرة (...) وبلغ الخبر إلى المعتصم فاستعظمه وبلغه أن هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم: وامعتصماه! فأجاب وهو على سريره: لبيك! (...) إلخ»[٢] .

ولا تعليق!

(٥)

العناصر الحقيقية التي بنيت عليها الأسطورة (Legend) موجودة: المعتصم وهجوم الروم على زبطرة وملطية وغيرها، واستغاثة الناس جميعًا ورد العدوان بانتقام أشد، أو بلغة العصر بنصر استراتيجي. كل هذا حقيقي. وقد رأى

(١) انظر الذهبي سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٩٦، جـ١٠ / ٢٩٠-٣٠٦ . وابن كثير البداية والنهاية، تح أحمد عبد الوهاب فتيح. القاهرة دار الحديث ١٩٩٧، جـ١٠ / ٣١٠-٣١٣ وابن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، جـ٢ / ٢٣٨ وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير ١٩٨٨، جـ٣ / ١٠٤-١٠٥ .

(٢) ابن خلدون تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. القاهرة دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ١٩٩٩م. مج٥ ص٥٥٧

القارئ الكريم أن سيناريو (النخوة) لا يمكن أن يصح، ولم يذكره المؤرخون القدماء. فكيف بُنيت خيوط هذه الأسطورة شيئًا فشيئًا؟

نقول: مدح أبو تمام الطائي (ت٢٣١هـ) المعتصم بمناسبة فتح عمورية، بالقصيدة التي يعرفها الصغير والكبير «السيف أصدقُ أنباءً من الكتبِ» وفيها يقول:

لبَّيْتَ صَوتًا زِبطريًا هرقتَ لَهُ

كَأْسَ الكَرى ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ[1]

ولا يعني أبو تمام إلاَّ أن المعتصم لبَّى استغاثة الناس، تاركًا النوم اللذيذ واللهو مع النساء. غير أن الشارح - الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) لا يكفيه ذلك، بل شارك في (سيناريو) الأسطورة بقوله: «زبطري: منسوب إلى زبطرة، وهي بلد فتحه الروم، فبلغ المعتصم - فيما قيل - أن امرأة قالت في ذلك اليوم وهي مسبية: وامعتصماه! فنقل إليه ذلك الحديث وفي يده قدحٌ يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه وأمر بأن يُحفظ. فلما رجع من فتح عمورية شرب(!!)»[2]

والخطيب في شروحه جميعًا عالة على من سبقه، ويقصر عنهم[3]. وهو في شرحه لديوان الطائي معتمد على شرح المعري. وشرح الخارزنجي وغيرهما. وهذه الحكاية لم ترد عند سابقيه. وقد أشار المحقق محمد عبده عزام فقال: «في (ظ) قال الخارزنجي: إنما أراد بذلك قول امرأة من زبطرة كتبت إلى المعتصم حين دخلها الروم:

يابن الخلائف من ذؤابة هاشم

ذهبت زبطرة منك إن لم تأتها[4]

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف جـ١ / ٦١ .

(٢) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي جـ١ : ٦١-٦٢

(٣) المرزوقي: شرح حماسة أبي تمام، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١، مقدمة المحققين عبد السلام هارون وأحمد أمين

(٤) ديوان أبي تمام، جـ١ : ٦٢ حاشية المحقق

ونؤجل التعليق على الاستغاثات النسائية، ونعلق على حكاية الكأس التي كان أمير المؤمنين المعتصم يشربها وأمر أن تحفظ (!)، وقد لاحظ القارئ أن زمن فتح عمورية كان بعد حفظ الكأس بأكثر من أربعة أشهر، وزد عليها شهرين للعودة ولإنجاز أمور أخرى من بينها التخلص من مؤامرة يدبرها ابن أخيه المأمون فتصير الجملة أكثر من ستة أشهر. فما وسائل حفظ المشروبات في القرن الثالث الهجري؟ لم يُجَب عن هذا السؤال. ثم ألا يحتمل أن يفسد ما في القدح؟ وهو لاشك قد فسد، إضافة إلى احتمال أن تسقط فيه وزغة أو ذبابة أو حشرة؟! فكيف يسوغ للخليفة أن يشربه؟ ألم أقل لكم إن علينا أن نطالب منتج أفلام جيمس بوند بحقوق الملكية؛ لأننا تفوقنا عليه؛ إذ لا يستغرق زمن هذا المشهد عندهم ساعات أو يومًا.

(٦)

وتتناثر في معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) أسماء المواضع المتعلقة بالأسطورة، وعناصر الأسطورة، جريًا على عادة ياقوت في إيراد العجائب والغرائب[1].

يقول عن (زبطرة) ٣/ ١٣١: مدينة بين ملطية وسميساط والحدث، في طرف بلاد الروم (...) وقال أبو تمام يمدح المعتصم: لبيت صوتًا زبطريًا (...).

ويقول عن (عمورية) ٤/ ١٥٨: بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع صراخ العلوية (...)، وقد ذكرها أبو تمام فقال: يا يوم وقعة عمورية انصرفت (...) وهي التي فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣هـ وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية، في قصة طويلة[2].

---

(١) انظر في معجم البلدان، مادة (شحر). ستجد مخلوقًا، له عين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة، وينشد شعرًا فصيحًا، ومع ذلك فهذا المخلوق المسمى (النسناس) يؤكل!!!

(٢) ياقوت الحموي. معجم البلدان، بيروت. دار صادر

(٧)

اتضح للقارئ مما قدمناه أن إقدام المعتصم على فتح عمورية وتخريبها، وكذلك فتح أنقرة وما حولها، ليس بسبب (نخوة) فردية استجابة لصرخة امرأة بينها وبينه مسافة شهرين، بل لأنه بوصفه حاكم دولة عظمى، يأبى أن تنتقص سيادة هذه الدولة بأي شكل، فما بالك وقد هوجمت أطرافها، وقُتل وأُسر من مواطني هذه الدولة الآلاف.

فلو كان الأمر كذلك، فإننا نتساءل: هل مهاجمة فرنسا للجزائر كانت (نخوة) من حاكم فرنسا؛ لأن داي الجزائر ضرب وجه القنصل الفرنسي بمذبة كانت في يده؟ واستمرت آثار هذه النخوة احتلالاً دام نحو قرن ونصف قرن!

وهل كانت (نخوة) من الهالك مناحم بيجن ووزير دفاعه شارون أن يهاجموا لبنان في صيف ١٩٨٢ لإخراج المقاومة الفلسطينية منها؛ لأن بعض الفلسطينيين أطلقوا النار على السفير الإسرائيلي في لندن؟ وقد فعلا.

ثم بعد ذلك لو جارينا معتنقي الأسطورة، في (النخوة) استجابة لصرخة امرأة، لوجدنا تناقضًا حادًا في الصورة؛ لأن جنود المعتصم الأتراك كانوا يرمحون بخيولهم في بغداد - لا في بلد يبعد شهرين سفرًا - فيطأون المرأة والصبي، وهؤلاء يستغيثون قريبًا من أذن أمير المؤمنين فلا يغيثهم قائلا: «لبيك». انظر معي في سبب انتقال المعتصم بعساكره من بغداد إلى القاطول ثم سامرّا في تاريخ الطبري ومن جاء بعده من المؤرخين، أو من كتب البلدانيات.

جاء في الطبري: «سبب خروج المعتصم إلى القاطول (...) أنّ غلمانه الأتراك ( ) كانوا عجمًا جفاة يركبون الدواب، فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها. فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبي (...) «ويستمر الطبري في سرد الأحداث حتى يصف وقوف شيخ كبير للمعتصم عند انصرافه من مصلى العيد. فشكا له أذاهم وقال له: «لا جزاك الله عن الجوار خيرًا! جاورتنا وجئت

بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا. والمعتصم يسمع ذلك كله»[1].

(٨)

صارت العبارة الاصطلاحية المكونة من مضاف ومضاف إليه، أعني «نخوة المعتصم» أسطورة من أساطيرنا في الثقافة العربية المعاصرة. ولو تأخر الزمن قليلاً بأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) لضمها إلى كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) لتأخذ مكانها إلى جوار تعبيرات مثل: غراب نوح، ومواعيد عرقوب، وكبش إبراهيم، وغيرها. على أن فضل صياغتها النهائية يعود إلى عمر أبو ريشة (ت١٩٩١م)، في قصيدته التي أنشأها عام ١٩٤٩م، بعنوان: أمتي، ثم غير عنوانها إلى (بعد النكبة) ثم إلى (نخوة المعتصم)[2]، ومطلعها:

أمتي، هــل لك بين الأمــم   منبــرٌ للسيــف أو للقــلم

وفيها يحن إلى الماضي المشرق، ويرثي من الحاضر البائس، ويهجو الزعماء العرب بأنهم سمعوا أنات الثكالى بآذانهم، غير أنهم لم ينجدوهن؛ لأن هذه الاستغاثات لم تلامس (نخوة المعتصم)، قال:

رُبَّ (وامعتصماه) انطلقتْ   مـلء أفـواه الصبـايـا اليُتَّم

لامســتْ أسمــاعَهم لكنَّها   لم تلامس (نخوةَ المعتصم)

وحقيقة الأمر أن الزعماء العرب لا تنقصهم النخوة، بل تنقصهم الإمكانيات المادية، خذ عندك مثلاً دخول الجيش المصري للقتال في فلسطين

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ط الأعلمي جـ٧ / ٢٣٢، والمسعودي: مروج الذهب جـ٤ / ٥٣-٥٤. والكامل لابن الأثير جـ٦ / ٤٥١ - ٤٥٢، ومعجم البلدان (مادة سامرا) جـ٣ / ١٧٣ - ١٧٥

(٢) انظر: جمال علوش: عمر أبو ريشة، حياته وشعره مع نصوص مختارة، بيروت، دار الرواد ١٩٩٤، ص ١٥ وما بعدها

عام ١٩٤٨م، وهو في بداية تكوينه، في أرض لا يعرفها، وميزانيته ٢٤ مليون جنيه مصري في العام، في حين أن التبرعات التي وصلت إلى بن جوريون - أول رئيس وزراء إسرائيلي - وصلت إلى خمسمائة مليون دولار فقط[١] . ولاحظ أن الجيش المصري يقاتل في فلسطين ومازالت القوات البريطانية في مصر. أليست هذه (نخوة)!

وخذ عندك أن تسليح إسرائيل يفوق الدول العربية مجتمعة، وإذا فقدت طائرة أو دبابة عوضت مجانًا، أما دول المواجهة فمن يعوضها؟ حتى الصديق السوفيتي لم يكن (يتصدق) عليها. ففي حرب رمضان المباركة ١٣٩٣هـ دفع الرئيس الجزائري المرحوم هواري بومدين قيمة مائتي دبابة للاتحاد السوفيتي بنفسه في موسكو، ودفع الشيخ زايد بن سلطان - رحمه الله - قيمة مائة وستين نقدًا. أليست هذه نخوة؟

لكن طبع النفس البشرية التعلق الدائم بالماضي وعدّه جميلاً مضيئًا مشرقًا مجيدًا بكل جوانبه. في حين أن الأمر ليس كذلك. فالشيخ عندما تسمعه يتأفف من حاضره فهو لا يتأفف كراهة للدنيا، بل يتأفف من الضعف الذي حلّ به. وما أصدق المتنبي حين قال:

وإذا الشيخ قال أفٍّ فما ملَّ حياةً وإنما الضعفَ ملاَّ

فنحن نحنُّ إلى الزمن الذي كنا فيه غزاة لا مغزوين، وكنا في حماية دولة عظمى تستطيع الوصول بجيوشها إلى أبعد الأماكن في العالم القديم.

وتجليات هذه الأسطورة في الشعر العربي المعاصر كثيرة، فمن أراد أن يتزود فعليه بكتاب المرحوم علي عشري زايد «استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر». ويكفي أن نشير إلى معارضة عبد الله البردوني لبائية

(١) انظر يوميات ديفيد بن جوريون، ترجمة دار الجليل، عمّان ١٩٨٢

أبي تمام - بعد تغيير حركة الباء إلى الضمة - في قصيدته (أبو تمام وعروبة اليوم)[١] ، ومنها:

ما أصدق السيف إن لم ينضه الكذبُ

وأكذب السيف إن لم يصدق الغضبْ

بيض الصفائح أهدى حين تحملها

أيد إذا غلبت يعلو بها الغلبُ

أدهى من الجهل علمٌ يطمئن إلى

أنصاف ناس طغوا بالعلم واغتصبوا

ماذا فعلنا؟ غضبنا كالرجال ولم

نصدق، وقد صدق التنجيم والكتبُ

ويسير باحثٌ شاب واعد، في دراسة التقابل في شعر البردوني، في ركاب الأسطورة، يقول: «يتمثل جانب التباين من المعارضة بين القصيدتين من نواحٍ عدة، تبدأ بالفروق الصارخة التي تمخضت عنها الصور المقارنة بين عصرين: عصر المعتصم والعصر الحالي من حيث المجد العربي والكرامة والنخوة والقوة والنفوذ وسمات الحاكم الغيور على الأمة وسواها من السمات التي كانت فبانت. وتجسد المقارنة مدى التردد (...) الذي حاق بالأمة العربية حاليًا فاحتُلّت فلسطين في مقابل تلبية المعتصم لامرأة واحدة في عمورية»[٢] .

وخالف الشاعر أمل دنقل مجايليه، فهو يتخيل المتنبي في مصر حزينًا لأسباب شتى، منها أسر حبيبته عند الروم. وقد سأله كافور عن حزنه فقال[٣] :

---

(١) ديوان عبد الله البردوني: الأعمال الشعرية الكاملة، صنعاء الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤. مج١ ص ٦٢٤-٦٢٩

(٢) صادق عبد الحميد القاضي: التقابل واللغة الشعرية ديوان الشاعر عبد الله البردوني أنموذجًا . (رسالة ماجستير) مركز اللغات - جامعة تعز ٢٠٠٤، ص ١٢٢

(٣) انظر قصيدة (من مذكرات المتنبي في مصر)، ضمن أمل دنقل الأعمال الشعرية الكاملة. القاهرة مدبولي ١٩٩٥م، ص ٢٤٠

ساءلني كافور عن حزني

فقلت : إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدةً كالقطة

تصيح : كافوراه .. كافوراه

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تُجلدُ كي تصيح : واروماه واروماه

لكي يكون العين بالعين

والسنّ بالسنّ !

•••

وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

تذييل

للاستزادة من تحليل للأوضاع الحاضرة له علاقة بأسطورتنا، ننصح بالرجوع إلى ما كتبه تلميذنا النابه/ إبراهيم محمد طلحة في (الثقافية).

بعد قانا.. المعتصم بالله (أيهود أولمرت) يؤكد: نحتاج إلى وقت لوقف إطلاق النار.

العدد ٣٤٨ - ٣/ ٨/ ٢٠٠٦م.

من نخوة المعتصم إلى النخوة النجادية.

آية الله العظمى يورانيوم .

العدد ٣٦١- ٩/ ١١/ ٢٠٠٦م .

•••

عن النسق المضمر في تاريخ الأدب العربي

عن النسق المضمر في تاريخ الأدب العربي

(١)

على كثرة الكتب المخصصة لتاريخ الأدب العربي في حقبة زمنية سياسية، أو في أقاليم معينة؛ لا نجد دراسات تفحص الأسس المنهجية التي تقوم عليها هذه الكتب، أو آليات التحليل، باستثناء دراستين أولاهما لحسين الواد «في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج»[1] عالج فيها أهم مشكلات تاريخ الأدب في أربعة كتب هي: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، وتاريخ آداب العربية لمصطفى صادق الرافعي، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات. وفي الأدب الجاهلي لطه حسين.

أما الدراسة الثانية فلإلهام عبد الوهاب المفتي «من إشكاليات المنهج في تاريخ الأدب العربي، الشعر العباسي نموذجًا»[2]، وتناولت فيها ثلاثة كتب هي:

- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث، لنجيب محمد البهبيتي ١٩٥٠م.
- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، لشوقي ضيف ١٩٧٢م (ط٢).
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، لمحمد مصطفى هدارة ١٩٦٣م.

فأما كتاب حسين الواد فلم يقع بين أيدينا، وأما بحث إلهام المفتي فنحن نتفق معها في أسس النقد عامة، وإن كانت وجهتنا قد تخالفها في كثير من

---

(١) حسين الواد: في تاريخ الأدب، مفاهيم ومناهج. تونس ١٩٨٣.

(٢) إلهام عبد الوهاب المفتي «من إشكاليات المنهج في تاريخ الأدب العربي. الشعر العباسي نموذجًا» المجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت، العدد ٨١، شتاء ٢٠٠٣، ص ٨١ - ١١٦

الأحيان. على أننا لاحظنا أنها مست عمل البهبيتي مسًا رفيقًا بعكس ما صنعت مع زميليه.

بدأت المفتي بأن النموذج الذي تتناوله يعاني قصوراً منهجيًا في التأسيس النظري وفي استخدام التحليل والتعليل، ومن ثم ما توصل إليه من أحكام، وبذلك تأكدت الحاجة إلى تاريخ جديد للأدب العربي ينفتح على المنجز اللساني والنقدي المعاصر. وأشارت إلى دراسة حسين الواد، ثم أفاضت في أن التاريخ للأدب عائد إلى البحث عن صيغة (علمية) تحاكي منهج العلوم الطبيعية. وتجلى ذلك عند سانت بوف وتين وبرونتيير. لكن حتمية العلوم الطبيعية انكسرت لأن الظاهرة الأدبية مراوغة. فالتمست المعونة من علوم النفس والاجتماع والتاريخ. وكل هذه دراسات خارجية للأدب تفسره خارج الصيغة اللغوية للنص. ولما كان هذا العلم ملتبسًا بالزمان بحكم تسميته، آلت الهيمنة للتاريخ. فصار الأدب تابعًا للتاريخ الذي عدّ موضوعيًا؛ لا أنه فروض تصدق وتكذب.

ثم رأت أن الغربيين تطورت نظرتهم إلى الظاهرة الأدبية على أنها موضوع أصيل لا تابع ثانوي. كما أنها تتجاوز التاريخ بحدوده. أما الأعمال العربية فلم تتطور. ومؤلفوها لا يفصحون عن رؤيتهم للتاريخ أو أسس نقدهم للوقائع حتى ليتعب القارئ في التماس علة تسوغ إسباغ العلمية على تأويلاتهم وتحليلاتهم فلا يجد.

ثم ذكرت – بحق – أن قول بعضهم (بالتكاملية) إنما يعني الجمع بين نوافر الأضداد. أما ألفاظ التطور، والزمان، والعصر، فاستعيرت خارج البنية المنهجية لأصحابها فأصبح معناها معجميًا خالصًا. ومضت الباحثة في تحليل عينات من الكتابين الثاني والثالث مبينة الضعف والتهافت في التعليل وإصدار الأحكام؛ لضعف في الأسس المنهجية.

(٢)

لكل إنسان، مهما يكن حظه من العلم والثقافة، تحيزات اكتسبها من مجتمعه الصغير في أسرته الصغيرة وأسرته الممتدة، ثم من مجتمعه الكبير في الشارع والمدرسة وأماكن اكتساب الثقافة. وهناك تحيزات يشترك فيها المثقف وغير المثقف، ويزيد المثقف على غيره باكتساب تحيزات ثقافية من خلال تفاعله مع قراءاته ونقاشاته مع أقرانه. وهذه القراءات يكون مصدرها الكتب القديمة والكتابات الحديثة، ولكل منها تحيزاتها؛ من حيث إنها تحمل نظرات وأيديولوجية كاتبها وتحيزات زمن الكتابة. ولاحظ أننا قلنا: «من خلال تفاعله مع...» حتى لا يظن أنه مجرد لوحة بيضاء يكتب فيها دون رد فعل. إنه يحمل ما سماه شيخنا عبد الله الغذّامي (النسق المضمر). وهذا النسق يتضمن صورة (الأنا) في تجلياتها المختلفة، في مقابل صورة (الآخر) في تجليات عرقية أو قومية أو مذهبية أو دينية أو جنسية...إلخ.

وفي حين تظهر صورة (الأنا) نقية مكتملة الصفات الطيبة، لا تخدشها (الهنات)؛ تكون صورة (الآخر) نقيضًا. فالآخر في تاريخنا السياسي والأدبي يحمل - قبل لقائنا به فتحًا أو غزوًا - مجموعة أفكار وأديان ونحل غير صحيحة. وحين شاركنا بناء الحضارة التي كان الإسلام دينها والعربية لغة ثقافتها؛ نراه يشوّه نقاءنا بما سميناه (حركات هدّامة): مذهبية أو سياسية أو اجتماعية، رغم أننا نخوض فيما يخوض فيه. لكننا نبرئ أنفسنا بإلقاء (التبعة) عليه وحده. وإذا كان (للذات) أن تُضخم (غدة الفخر) فيها؛ فإنها لا تسمح للآخر أن (يفخر) مثلها بماضيه الزاهر أو بأياديه على المدنية التي يعيشان فيها جميعًا؛ لأن ذلك (شعوبية مقيتة).

ونأتي إلى اثنين من مؤرخي الأدب العربي هما: محمد مصطفى هدّارة وشوقي ضيف- رحمهما الله - لنرى كيف يؤثر (النسق المضمر) في آرائهما

وتعليلاتهما للظواهر غير الأدبية وتجلياتها في الأدب القديم. فرغم تصريحهما أن تقسيم الأدب بحسب العصور السياسية لا يستقيم مع طبائع الأمور[1]؛ نجدهما يجعلان التاريخ وما يمور فيه من حراك سياسي واجتماعي الأصلَ، ويكون الأدب بمثابة التابع للتاريخ. وهذا التاريخ يعاد تركيبه وبناؤه، وتعد لبنات البناء حقائق لا أفكاراً قابلة للنقاش، وتحاكم الأفكار الواردة في الأدب - وخاصة الشعر - إلى (حقائق التاريخ ونصوصه)، فإن لم تنطق (الحقائق) بما يُراد لها أن تنطق به؛ يتم إنكارها، ويعد الإنتاج الأدبي (أصدق أنباءً من الكتب التاريخية). والمهم أن المؤرخ الأدبي يراوح في المواقع بينهما، ويكون (النسق المضمر) الحكم الفيصل.

ونقول، قبل عرض صور من تأثير النسق المضمر عند هذين العلمين، إن ملاحظاتنا هنا لا تتغيّا التنقص من علمهما وفضلهما، كل ما في الأمر أن طريقتهما في التاريخ لكل شيء لا نرتضيها منهما ولا من تلاميذهما، وما أكثرهم!!

---

(١) محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ط٣، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٧م ص ١٧. والكتاب أصله رسالة دكتوراه من آداب الإسكندرية بإشراف محمد خلف الله أحمد، عام ١٩٦٠. وصعت في كتاب أول مرة ١٩٦٣ ثم عام ١٩٦٥. وانظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات: العراق - الجزيرة العربية - إيران، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٠ [حقيقة الأمر أن الطبعة خرجت إلى الأسواق عام ١٩٨١] في المقدمة يذكر أنه خالف المؤرخين الذين جعلوا من العصور السياسية أساساً لتاريخ الأدب، وأنهم جعلوا العصر العباسي ينتهي باقتحام المغول بغداد عام ٦٥٦هـ. إذ في رأيه أن العصر العباسي الأول ينتهي عام ٢٣٣هـ والثاني ينتهي عام ٣٣٤هـ. ففي التاريخ الأخير (لم يعد للخليفة سلطة) ومنه يبدأ عصر الدول حتى العصر الحديث. ونكل الأمر إلى فطنة القارئ إن كان قد خرج على التاريخ السياسي. ونتساءل: أكان الأدب في الأقاليم الإسلامية هذه الحقبة الطويلة يحمل سمات متماثلة أو موحدة. ثم إنه أفرد للأندلس كتاباً خاصاً، مع أن الأدب العربي موجود هناك قبل هذا التاريخ. ونعتذر للقارئ الكريم عن طول الحاشية، ولا بأس في أن يعرف أن الجزء الأول من (عصر الدول والإمارات) ممنوع من دخول العراق منذ صدوره؛ لورود كلمة (إيران) في الغلاف!!!

(٣)

الشعوبية والزندقة والمجون ثلاث مفردات مترابطة عند مؤرخي أدبنا القديم، لاسيما الأدب العباسي، وبدرجة أقل الأدب في العصر الأموي. وهذه المفردات تؤول في النهاية إلى (الآخر) غير العربي. وعندها يتحول المؤرخ الأدبي إلى قاضٍ من قضاة محاكم التفتيش، مهمته البحث عن الهراطقة والسحرة والمشعوذين، وانتزاع اعترافاتهم بكل وسيلة ممكنة. فإذا لم يجد دليلاً كان عليه أن يؤوّل الأقوال و(يتشممها)، ويحاكم النيّات. فالآخر مدان بالقوة والفعل. وسنبدأ من كتاب هدّارة «اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري».

في مقدمة الكتاب أخذ هدّارة في تقييم الدراسات التي لها علاقة بموضوعه فذكر منها كتاب محمد جابر عبد العال «حركات الشيعة المتطرفين وأثرها في الحياة الأدبية لمدن العراق إبّان العصر العباسي الأول»[1] وقال عنه - بحق -: «إنني أرى في هذه الدراسة غلواً شديداً في تقصي الأثر الشيعي في شعر القرن الثاني»[2] . وهذه الدراسة تنسب إلى الشيعة كل شخص خرج بأعماله وأقواله من ربقة الإسلام الحنيف!! ويكفي أن تنقل كتب الفرق والمقالات، أو ينقل عن خصم له، أنه سكن الكوفة! أو مرّ بها، أو ولد بها، ليدخل في قائمة التطرف. والأصل منطقًا وعقلاً أن تنزع صفة التشيع والتسنن عمّن أعلن خروجه عن تعاليم الإسلام. لكن المنطق العلمي غائب. فالكوفة - في رأي الكاتب «تجمّع فيها معتقدات السكان الأصليين من مانوية وزرادشتية، وورثت الحيرة ولهوها.

---

(١) أصل الكتاب رسالة دكتوراه من آداب القاهرة عام ١٩٥٣م. بإشراف أمين الخولي وحسن إبراهيم حسن والأول من دعاة إقليمية الأدب، والثاني مؤلف في التاريخ وله كتاب «تاريخ الإسلام السياسي» في عدة أجزاء. ويتميز في كتاباته بأنه يمكن الكتابة عن أي أحد دون الرجوع إلى كتب هذا الأحد. ناهيك عن الاحتطاب غير الواعي من الكتب الاستشراقية فتخيل كيف تكون كتابة التلميذ

(٢) هدّارة اتجاهات ص ١٣

وظهرت فيها الفرق الغالية التي تكفر بالقيامة وبالجنة وبالنار، ومن ثم سرى فيها تيار الإباحية والتحلل من قيود الدين والأخلاق»[1].

والعجيب أن نقد هدّارة يتنحى بعد المقدمة، فهو يغترف من هذا العمل في كثير من المواضع دونما نكير[2]. وإذا تلمّسنا معنى الزندقة عند هدّارة وجدناه يقر أنها لم تكن تعني شيئًا واحدًا؛ فقد تكون اعتناق نحلة من النحل السابقة على ظهور الإسلام كالثنوية مثلاً، وقد تكون بتفضيل غير العرب على العرب، أو تكون مجاهرة بالآثام. كما أقر «أن الاتهام بالزندقة وخاصة بين الشعراء كان يستخدم كسلاح من الخلفاء للقضاء على خصومهم السياسيين. كما كان يستخدمه الشعراء سلاح خصومة الأدبية أحيانًا»[3]. ومع ذلك نجد عنده هذه الأحكام الأدبية(؟)[4].

- في (ص٢٠٥) يرى أن الأثر الفارسي كان قويًا في مد تيار المجون بالقوة والحياة، مضيفًا إلى ذلك أثر الغلاة فيه، اعتمادًا على تأكيد(!) فلهوزن، بوجود صلة بين المجّان والمتطرفين.

- في (ص٢٤٥-٢٤٦) يذكر أن مطيع بن إياس كان لا يبالي بالدين وفرائضه، ويجهر بارتكاب المحرمات والفواحش، ويحث الناس على ذلك، غير أن هدّارة يصف أشعاره هذه بأنها تصور نزعة التنوير أو الزندقة الفكرية، وهي أولى درجاتها!!

ومن الشير حقًا أن ملاحقة الزنادقة منذ أيام المهدي، عام ١٦٦هـ كانت مركزة على أشخاص دون أشخاص، في حين أن المأخوذ والمتروك يسلكان

(١) محمد جابر عبد العال: حركات الشيعة المتطرفين ص١٠٣. وهذا القول - إن صح - ينطبق على كل الذين دخلوا أنفسهم في الإسلام، علامة أن أمنها لم يكونوا مسلمين، وبالتبعية لابد لهم أن لهم عقائد ونحلاً متوازنة مخالفة للإسلام، ولابد أن يترك كل ذلك أثره في حياتهم الاجتماعية، فلماذا خصّت الكوفة بحق الامتياز؟

(٢) انظر هدارة، ص١٤٦، ١٤٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) هدارة ص٢٤٥.

(٤) علامات الاستفهام والتأثر التي ستأتي من وضعنا.

سلوكًا شعريًا واجتماعيًا واحدًا. وقد أشاد هدارة بصنيع المهدي وذكر (ص٧٠) أن ابنه الهادي تبع خُطا أبيه رغم أنه كان صاحب شراب ومجون!! وطبعًا لا شيء على الخليفة.

نقول: اتُّهم بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وأبو دلامة وأبو العتاهية وابن المقفع وأبو نواس - وغيرهم - بهذه التهمة؛ فنرى شعراء تدل أخبارهم وأشعارهم على التحفظ والوقار يقتلون في حين لا يصيب المجاهرين أذى؛ مما يدل على أنها كتهمة الشيوعية في ستينات القرن العشرين، أو تهمة الإرهاب لمن يطلق رأيًا مخالفًا لسيد العالم الجديد الولايات المتحدة الأمريكية الآن. فهيا بنا نتابع رحلتنا وننظر رأي محاكم التفتيش فيهم.

في (ص١٠٩) يذكر أن أبا دلامة، مضحك الخلفاء: السفّاح فالمنصور فالمهدي، يهاجم الصوم في صراحة تامة ويتهكم بالصلاة. فلا تعجب لأنه لم يُقتل، لكن لك أن تعجب من قول المؤلف (ص٢٤٣-٢٤٤) من أنّ هذا لا يرقى إلى مرتبة الزندقة، فقد هجا أبا مسلم الخراساني!!

في (ص٢٣٥) يعجب من الأشعار المنسوبة إلى صالح بن عبد القدوس التي وصلتنا وأكثرها أمثال وحكم وآداب، لا تتفق إطلاقًا مع ما اتهم به من الزندقة[1] . لكن هذا لا يكفي لعدم إدانة الشاعر. فقد ذكر المرتضى بيتين قالهما صالح «يُشتمّ منهما سوء مذهبه واعتقاده». وهما كافيان للإطاحة بكل حكم الشاعر وآدابه وأمثاله لمجرد (الشم). ويتردد القاضي برهة قصيرة كيف يوفق بين شعر صالح المستقيم وزندقته، إلى أن يستبين له وجه الحق في «أن يكون هذا النوع من الشعر ستارًا يخفي وراءه زندقته وسوء معتقده. بل ربما بالغ صالح في إقامة هذا الستار، حتى لنجده يجلس للوعظ في مسجد البصرة (ص٢٤٥)». لك الله ياصالح! فلا أشعارك الستار ولا جلوسك للوعظ يبرؤك يازنديق.

---

(١) تعجب من ذلك ابن البيت العباسي الأمير عبد الله بن المعتز. طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٦م، ص ٩١-٩٢

أبو العتاهية أغلب أشعاره في الزهد والوعظ، وله أشعار في الغزل والهجاء والمجون. وقد اتهمه بعض معاصريه وبعض المحدثين بالكذب في زهده، كما حُبس على الزندقة ثم أُطلق. فما رأي قاضينا الأدبي؟ يقول مؤلفنا (ص٢٤٦): «الحقيقة أن زندقة أبي العتاهية كانت شيئًا واقعًا معروفًا في عصره» لأن الأصفهاني يذكر أن حمدويه صاحب ديوان الزنادقة أراد أن يأخذه ففزع من ذلك وقعد حجّامًا!.

وبالطبع لم يَعدَم أبو العتاهية من يدفع عنه التهمة كمحمد أحمد برانق، اعتمادًا على أنه «سمير للخلفاء. ولا يمكن أن يتزندق في رحابهم» فيجتد هدارة لضعف حجة برانق. ويقول - ومعه بعض الحق-: «وكأن كل الشعراء الزنادقة الملحدين كانوا مبعدين عن رحاب الخلفاء، وكأن هذه الرحاب تستطيع أن تدخل في قلوب الواردين عليها فتكشف الزنديق وتُظهر الورِع، فتردّ هذا وتقبل ذاك (ص٢٦٦)» . ونقول: إن رحاب الخلفاء كانت تقبل بعض الموصوفين بتلك الصفات، ولم يكن بها حاجة إلى قلوب الواردين عليها؛ إذ هي عارفة بظواهرهم البادية للعيان أقوالاً وسلوكًا. فهذا يجاهر بثقل الشعائر الدينية ويستعفي الخليفة نفسه من حضور صلاة الجماعة، وهذا يدعو إلى عصيان جبار السماوات. ناهيك عن السلوك الشائن لأكثر اللائذين برحابهم، ومع ذلك لم يحدث لهؤلاء ما يعكّر صفوهم. فرحابهم لا تُبعد إلا لأسباب سياسية سواء عرفناها الآن أو جهلناها.

وبعد: أكان خلفاء بني العباس ورعين حقًا؟ إن الأخبار الواردة عنهم تورد لهم صورًا مختلفة؛ فهم يأمرون بإزهاق النفس لأدنى تهمة، ويجزلون للشعراء المداحين الأعطيات والجوائز. ويقيمون في قصورهم مجالس الشراب والغناء، ولكل واحد منهم ألف جارية (هذا عند التخفيض إلى الثلث)، وروي عنهم الاستماع إلى الوعظ والتأثر به إلى حد البكاء وذرف الدموع ويصح القول

إنهم جميعًا كانوا غارقين في الترف إلى حد أن أكثرهم مات شابًا. هذا مع استثناء أبي جعفر المنصور الذي مات عن ٦٥سنة[١] . فإلى القارئ هذه القائمة مستخرجة من تاريخ المسعودي:

- مات المهدي عن ٤٣ سنة (٣/ ٣١٩).
- مات الهادي عن ٢٦ سنة (٣/ ٣٣٤).
- مات الرشيد عن ٤٤ سنة (٣/ ٣٤٧).
- مات المأمون عن ٤٩ سنة (٤/ ٤).
- مات المعتصم عن ٤٦ سنة (٤/ ٤٦) .
- مات الواثق عن ٣٤ سنة (٤/ ٦٥).
- مات المنتصر عن ٢٥ سنة (٤/ ١٢٩).
- مات المعتز بعد خلعه بستة أيام عن ٢٤ سنة (٤/ ١٦٦).
- مات المعتمد عن ٢٥ سنة (٤/ ١٦٦).
- مات المكتفي عن ٣١ سنة (٤/ ٢٧٥).

ولم ندرج الذين قتلوا مع أنهم قُتلوا صغاراً أيضًا .

نحن العرب في أدبياتنا نفخر بأن الحضارة العربية الإسلامية إنسانية لا عنصرية، فقد شارك في صنعها أجناس كثيرة، وأن التنوع الثقافي والأدبي مصدر فخر لنا. لكن التشكيك في دور غيرنا منهم، حتى لا نشوّه نقاء أدبنا المتجلي في فخريات عمرو بن كلثوم ونقائض الثلاثي: الأخطل، وجرير، والفرزدق. فالقاضي هدّارة يرى أن لابن المقفع دوراً خطيراً في تنمية شعور الموالي من الفرس بامتيازهم عن العرب، وأن نقله التراث الفارسي ليس خدمة للثقافة العربية (!) بل للتفاخر بهذه الثقافة على العرب (ص٣٩٩-٤٠٠)

---

(١) علي بن الحسين المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة المكتبة التجارية ١٩٦٥، جـ٣ / ٢٩٤

والعرب - كغيرهم - لها مثالب كما لهم مناقب، وترك أحد الموضوعين يعني نقصاً في الصورة. لكن هدارة - كغيره - يرى أن (الشعوبيين) أخذوا يؤلفون في مثالب العرب (ص٤١٤-٤١٥)، كأبي عبيدة معمر بن المثنى وابن الكلبي. والأمر في رأينا - هين؛ فلهذين العلمين كتب في فضائل العرب [illegible] أو فضائل طوائف منها[1]. فالمسألة مسألة حرية للكتابة في كل موضوع لا أكثر.

ويبالغ هدارة في التحري عن الشعوبيين إلى أن عدّ أبا حنيفة النعمان وسيبويه!! شعوبيين (ص٤١٦).

وإذا حدثنا تاريخ أوروبا الوسيط أن بعض الكرادلة في محاكم التفتيش ذاقوا من نفس الكأس التي جرّعوا بها ضحاياهم. فإن في الكتاب الذي بين أيدينا شيئًا يشبه ذلك. جاء في (ص٤٧٥): «كان موضوع الخمر من أكثر الموضوعات جدلاً عند الفقهاء (!) لعدم وجود نص قاطع بالتحريم»!! والمعلوم أن الجدل - ولم يكن كثيراً - إنما كان دائرًا حول (علة تحريمها) أهي الإسكار أم غير ذلك؟ أما التحريم فقطعي مما هو معلوم من الدين بالضرورة. وإذا تجاوزنا - جدلاً - قوله بعدم وجود نص قاطع على التحريم، فما هو المسوغ لقوله بعد صفحتين فقط (ص٤٧٧): «إن غلاة الشيعة ومتطرفيهم قد أنكروا ما في الخمر من تحريم فأباحوا شربها»؟ لماذا يعيب على هؤلاء شرب ما يؤكد حليّته؟

(٤)

ليست محكمة التفتيش عند العلامة شوقي ضيف بأقل هولاً مما هي عليه عند هدّارة، بل إنها تتفوق عليها؛ لطول التاريخ الذي يتناوله، نراه يتحدث عن

---

(١) انظر في الأمرين: محمد بن إسحاق النديم الوراق: كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م، صفحات ٥١، ٥٩، ١٠١، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٤.

الزندقة بأنها «تشمل كل من استظهر نحلة من نحل المجوس، واتسعت أكثر من ذلك فشملت كل إلحاد بالدين الحنيف وكل مجاهرة بالفسق والإثم»[1] . ولا نرى حاجة إلى إعادة كلامنا، ويكفي أن ننظر في الأحكام.

يقول في (ص٨١): «قُتل كثيرون من رءوس الزنادقة لهذا العصر يتقدمهم ابن المقفع الذي قُتل لعهد المنصور... وصالح بن عبد القدوس، وكان يعتنق المانوية ويحاضر فيها ويناظر.. فقُتل وصُلب على الجسر ببغداد نكالاً للناس وعظة. ومنهم بشار وكان يعلن إشادته بالنار معبودة قومه المجوس ويفضلها على الطين، كما يفضل إبليس على الإنسان...».

فهذه أحكام جازمة غير قابلة للنقض حتى مع وجود (استئناف) في المصادر التي رجع إليها تبطل الجزم. فهو يأتي في حيز مخصص لابن المقفع، ويتأمل في الروايات المختلفة عن سبب تعذيبه وقتله، ويثبت سببًا لكنه يؤكد زندقة المقتول. جاء في (ص٥٠٩): «... ويقال إن المنصور إنما أمر بقتله لما ثبت عنده من زندقته وكيده للإسلام. ويبدو أن التعليل الأول لمقتله هو الصحيح، لما صعّب في صيغة الأمان على المنصور تصعيبًا امتهن فيه كرامته ووطئها بالأقدام... وليس معنى استظهارنا أن يكون الأمان السبب الحقيقي في قتل ابن المقفع أننا ننفي عنه الزندقة، فقد شهد بها كثيرون من معاصريه ومن جاءوا بعده». ولا تعليق لنا مادام الذين أصدروا أحكام القتل عادلين متثبتين من أحكامهم. فمؤرخنا يؤكد ذلك بعبارات النفي والحصر كأنه حضر الجلسات: «ومما لا ريب فيه أن خلفاء بني العباس لم يكونوا يقتلون على الزندقة إلا بعد ثبوتها على صاحبها ثبوتًا لا يرقى إليه شك، (ص٨٣) ». وهذه مبالغة لم يكن هؤلاء الخلفاء أنفسهم يرضونها.

---

(١) شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، القاهرة دار المعارف ١٩٧٦م، ص ٧٩ والطبعة الأولى (وهي لا تخالفها في حرف) صادرة عام ١٩٦٦م. ونشير في المتن إلى صفحات هذ الكتاب دون ذكر العنوان

وفي مواضع أخر (ص٣٨٢) يتحدث عن أسباب كثرة شعراء المجون والخمر كثرة مفرطة. فيجعل أول الأسباب أن أكثر الشعراء من الفرس(!) «وكان كثير منهم يظهر الإسلام ويبطن الزندقة والإلحاد...».

وفي ظني أن الإسلام له الظاهر. وقد قدمنا أن بعض (المهاجرين) لم يصبهم أذى، لرضا القيادة السياسية عنهم. وما أبو دلامة عنا ببعيد؛ فله أن يجاهر بالموبقات كما يشاء. والتعليل طريف جدًا؛ إذ لم يأخذ القاضي بوثائق الندماء في هذه الحالة فقد كان أبو دلامة يطرف الخلفاء بنوادره. ويقول أبو الفرج: كان فاسد الدين رديء المذهب، مرتكبًا للمحارم، مضيعًا للفروض، مجاهرًا بذلك، وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به فيُتجافى عنه للطف محله. اهـ. قد يكون منه لهو وميل للمجون. أما أن يكون فاسد الدين مخلاً بالفروض، للخبرين الأولين وما يشبههما، فمبالغة في الحكم. إذا كان يذهب إلى الدعابة شأنه في دعابته الأخرى (ص٢٩٦).

وهذه (الأسباب المخففة) لا وجود لها عند آخرين بعيدين عن رضا الخليفة، كبشار بن برد مثلاً. فبشار تأثر بترجمات ابن المقفع فأحدثت تشويشًا في فكره، ثم تحول زنديقًا يبغض الدين الحنيف، حتى إذا نجحت الثورة العباسية تحول شعوبيًا يبغض العرب والعروبة (ص٢٠٧).

وهذه الفقرة حوت عجائب منها:

أ- تأثر بشار بترجمات ابن المقفع، مع أنها لم تظهر إلا بعد نجاح الثورة العباسية، وفي عهد المنصور تحديدًا. فكيف تم ذلك؟

ب- ليس شرطًا أن كل زنديق يبغض الدين الحنيف.

حـ- تحوله إلى الشعوبية وبغض العرب بعد نجاح الثورة العباسية. فلم لا يكون ذلك قبل نجاحها؟

د- أن بشاراً الذي عاش بين (٩٥- ١٦٧هـ) ظل مدة ٤٤ سـنة مجاهراً بالزندقة والشعـوبية في عهود ثلاثة خلفـاء (١٣٢ ١٦٧هـ) ولم يحدث له أذى إلا يوم مقتله؛ هذا إذا استثنينا خوفه من هجاء أبي الشمقمق وحمّاد عجرد.

فـإذا طلبنا شـاهد نفي (من أهلهـا) قـال لنا ابن المعتـز العبـاسي مـا يلي: «الصحيح عند أهل العلم أن المهدي قتله لهجوه يعقوب بن داود وزيره بقوله:

بنـي أميـــة هبّـوا طـــال نومكـمُ ... إن الخليفة يعقوب بن داودِ

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزقّ والعود»[1]

وبما أننا لسنا فـي موقف المحـامي عن بشـار فلن نقـول: ربما وُضـعت هذه الأبيات ونسبت إليه حتى تهلكه.

من أعجب الأحكام عن بشـار قوله (ص٢١٤): «روى له أبو الفرج ميـمية رثى بها خمسة من أصدقائه تقطر أسى وحـزنًا. ولا نشك في أنهم جميعًا قتلوا على الزندقـة (!)؛ إذ نراه فيـها جـزعًا أشـد الجزع ملتـاعًا أشـد الالتيـاع (!)» فواعجباه للسبب والتعليل!!

كذلك يدين قاضـينا الشاعر صالح بن عـبد القدوس، الذي أظهر عـقيدته بعد قـيام الدولة العـباسيـة في مسجـد البصرة إلى أن حـاكمه الـرشيد بنفـسه. فحاول التبرؤ من كل ما نُسب إليه، لكنه أفحمه (!) ببيته:

والشيـخُ لا يتـركُ أخـلاقَهُ ... حتى يوارى في ثرى رمسهِ (')

فأمر بضرب عنقه، وصُلب على الجسر (٣٩٤).

أما أبـو العتـاهية فـهو مع القـدماء الذين شككوا في زهده. وبعـد أن قلب الاحـتمـالات توصل إلى أنه «مـانوي من نمط جـديد، إذ يمزج بـين المانوية

(١) ابن المعتز: طبقات الشعراء تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٥

والإسلام، إلا إذا كان قد موّه عن مانويته الخالصة بادعائه وحدانية ربه (٢٤١-٢٤٢)». فأبو العتاهية في رأيه واحد من اثنين:

- إما مازج بين تعاليم المانوية والإسلام، وماذا يضير الإسلام إن شابهت المانوية بعض تعاليمه؟

- إما مانوي خالص، يدّعي كذبًا توحيد ربه .

ولا نجاة للشاعر مع المؤرخين المحدثين في حين أنه نجا بنفسه قديمًا .

وإذا كان صالح وأبو العتاهية مموهين، وكلاهما لم يجاهر بالمعاصي أو يحبب الناس فيها. فهناك أمير المجاهرين بكل قبيح وشاذ، أعني أبا نواس الذي ظل مقربًا من الوزراء والكتاب وأصحاب السلطة، ومدحهم ونال جوائزهم، حتى لصق بالخليفة الأمين، ولم يُقتل على الزندقة. فما قول محاكم التفتيش في إلحاده؟ القول هين. والأعذار جاهزة، والنفوذ إلى دخائل النفوس الطيبة حاضر. فإلحاد أبي نواس (ص٢٢٦-٢٢٧): «إلحاد عابر، لا إلحاد عقيدة كإلحاد بشار (...) أما أبو نواس فلم يكن يعتنق الزندقة، إنما كان يعتنق المجون (...) فصاح بالدين الحنيف كأنه يرى فيه عائقًا عن خمره ومجونه وإثمه. وهو من هذه الناحية مضطرب أشد الاضطراب، تارة يعلن دُهريته وأنه لا يؤمن ببعث ولا نشور، وتارة يعلن أنه مؤمن عاص». ولا تعليق!

(٥)

ونرى شوقي ضيف أشد عنفًا وحماسة من هدارة، فلو عدنا القهقرى إلى العصر الأموي لرأينا نفس المنطلقات عنده لا تتغير، فهو ينقل عن إسماعيل بن يسار قوله:

واسألي إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا، وتدسّو نَ سفاهًا بناتكم في التراب

ويعلق بقوله: «هذه نزعة شعوبية واضحة، فإسماعيل لا يحاول أن يفخر بالفرس فقط، بل يحاول أن يضعهم فوق العرب، إذ يرجع إلى التاريخ القديم في الجاهلية.. ونراه يشير إلى ما كان عليه العرب من غلظ وجفوة؛ إذ كانوا يئدون بناتهم»[1].

نعم؛ للعرب أن يفخروا على غيرهم، أما (الآخر) فلا يحق له ذلك، وإن انطلق من موقف يوافقه القرآن الكريم عليه، بل إن مؤرخنا يدافع عن المظالم التي أوقعها الحكام على رءوس آل البيت ويسوّغها. انظر إلى قوله: «وتدل النصوص التاريخية في هذا العصر على أن بني أمية إنما قتلوا الحسين وزيد بن علي صاحب مذهب الزيدية؛ لأنهما خالفا الإمام وطالبا بالخلافة. أما بعد ذلك فكان الأمويون يعاملون الهاشميين معاملة حسنة»[2].

(**النصوص التاريخية**) التي يحتكم إليها تقول: إن سيدنا الحسين بن علي ﵁ حين حصره جيش بالآلاف طلب منهم أن يسمحوا له بالعودة إلى الحجاز، فرفضوا لأن الأمر بقتله والتمثيل به قد صدر. و(النصوص التاريخية) تقول: إن سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ظل يُسبّ على منابر المساجد ستين عامًا؛ فتنشأ أجيال في هذا الجو الموبوء وتحسب أن هذا السلوك القبيح من شعائر الدين. أفهذا من (المعاملة الحسنة)؟ وبعد فـ(**النصوص التاريخية**) تقول: إن الجيش الأموي اقتحم المدينة في موقعة الحرَّة وفعل بأبناء الأنصار أفعالاً لا تختلف في شيء عما فعله الصرب بأهل البوسنة أو ما يفعله شارون بالفلسطينيين، مع اختلاف الدين طبعًا.

---

(1) شوقي ضيف. التطور والتجديد في الشعر الأموي، (ط3)، القاهرة. دار المعارف 1965م. ص 116 والكتاب طبعته الأولى في 1962م والثانية في 1959م/ ولم يتغير حرف واحد في الكتاب حتى الآن بعد الطبعة الثانية.

(2) التطور والتجديد ص 97.

غير أن الاستناد على (النصوص التاريخية) لا يُلتزم في كل حال. ففي حديثه عن الحجاج بن يوسف ينحّي كل الروايات عنه؛ لأنها مُغرضة. يقول: «والحق أن الحجاج شوهه الرواة في العصر العباسي إرضاءً للعلويين والعباسيين جميعًا. وطبعًا كان فيه قسوة ولكنها كانت قسوة ضرورية. وإن من يقرأ وصف جرير له ليعرف أنه كان يتبع سياسة حازمة ورشيدة!!!»[1]. ونخشى أن نضجر القراء بتعليقنا، لكن لا بأس من القول: أتحب أن يطبق عليك الحجاج شيئًا من سياسته الحازمة الرشيدة؟ ثم كيف يصبح العمل الشعري وثيقة لا تكذب في مدح كاذب؟ ما قولكم لو سمعنا رأي خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ﷺ قال: لو أن كل الأمم تخابثنا يوم القيامة. فأخرجت كل أمة خبيثها، ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم»[2]. وبالتأكيد فالخبث ليس عليه وحده، بل يشمل من ولاه، وإلا كنا كمن يمسك بالبردعة ويترك الحمار وحيداً.

(٦)

والمؤرخ الأدبي؛ لاعتماده على غيره في التخصصات المختلفة؛ مضطر لأن يبدي رأيًا في كل تخصص. وقد يأخذه من قديم أو محدث، أو يلفق بين الآراء. وقد يعتنق أو يبدي رأيًا في سطور معدودات ببساطة شديدة، في حين أن المسألة ليست كذلك. ولعلّ مسألة المهدي المنتظر في الشعر القديم من هذه البابة. فأما هدارة فيرى أن تأثير الثقافة الفارسية في العصر العباسي لم تقتصر على فرق الثنوية المختلفة، بل أثرت على ما سماه (فرق الغلاة من الشيعة) «الذين نادوا بفكرة المهدي المنتظر. وهي فكرة فارسية أصلاً. ولدت في أثناء ثورة المختار التي كانت في أساسها ثورة موال»[3].

---

(١) التطور والتجديد ص ١٥٤

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي. صفة الصفوة. القاهرة. دار الكتب الحديثة ص ٨٩

(٣) هدارة. اتجاهات. ص ٩٤

وأما شوقي ضيف فقد كان ألطف في تعبيره حين زعم في أكثر من موضع وكتاب أنها فكرة شيعية بدأت بالكيسانية، ثم نجدها عند الشيعة في كل عصر[1]

ويؤسفنا أن نقول: بل هي فكرة أو عقيدة إسلامية تشمل المسلمين جميعاً ولم ينكرها، دون دليل مقنع، غير قلة قليلة هم: ابن خلدون، ورشيد رضا، وأحمد أمين، ورئيس محاكم قطر السابق عبد الله زيد آل محمود.

وسنورد هنا أسماء المحدِّثين والعلماء من السنة فقط، الذين اثبتوا أحاديث المهدي في كتبهم .

أخرجها عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت٢١١هـ) في مصنفه، الجزء الحادي عشر الأحاديث ٢٠٧٦٩-٢٠٧٧٩، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣١٥ في بعض أحاديثه: إن رجاله رجال الصحيح.

أخرجها ابن ماجة القزويني (ت٢٧٣هـ) ٢/ ٢٢-٢٤ الأحاديث ٤٠٨٢-٤٠٨٨ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة) والحديث ٤٠٨٤ إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وقال الحاكم فيه: صحيح على شرط الشيخين البخاري ومسلم.

أخرجها أبو داود (ت٢٧٥هـ) في سننه (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنة بالقاهرة) ٤/ ١٠٦-١٠٩ (كتاب المهدي) أرقام ٤٢٧٩ - ٤٢٩٠ .

أخرجها الترمذي (ت٢٧٩هـ) في الجامع الصحيح المسمى بالسنن (تحقيق عطوة عوض مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة)، الجزء الرابع. الأحاديث ٢٢٣٠- ٢٢٣٢ . وقال في اثنين من أحاديثه: حسن صحيح .

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي ط ١٩٧٦ ص ٣١٥ وما بعدها ، تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، ص ٣٠٥ وما بعدها، تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ص ٣٨٥ وما بعدها وكلها كما يعلم القارئ صادرة من دار المعارف بالقاهرة

أخرجها الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في المعجم الكبير (بعناية حمدي السلفي، مطبعة الوطن العربي، بغداد)، الجزء العاشر، الأحاديث ١٢١٣-١٢٣١ في مسند عبد الله بن مسعود.

أخرجها الحاكم (ت٤٠٥هـ) في المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٦٤، ٤/ ٥٥٧ . وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك .

أخرجها البغوي (ت٥١٠هـ) في مصابيح السنة (مكتبة محمد علي صبيح بالقاهرة) وعدّ بعضها صحاحًا وبعضها حسانًا .

ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في منهاج السنة ٤/ ٢١١ (دار إحياء السنة بالقاهرة) قال: إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم (وأورد بعضها) وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف أنكروها.

الذهبي (ت٧٤٨هـ) في تلخيص المستدرك صحّح بعض الأحاديث.

ابن القيم (ت٧٥١هـ) في: المنار المنيف في الصحيح والضعيف (تحقيق: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت) الفصل ٤٥ ص ص ١٢٩-١٤٣، الحديث ٣٢٥ فما بعد. وقال : هذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح، وحسن، وغرائب، وموضوعة .

ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في البداية والنهاية (تحقيق طه محمد الزيني، دار الكتب الحديثة بالقاهرة) أورد قسمًا من أحاديث المهدي وصححها ١/ ٢٤-٣٢ .

الهيثمي (ت٨٠٧هـ) في مجمع الزوائد (مكتبة القدسي بالقاهرة) ٧/ ٣١٣-٣١٨ باب ما جاء في المهدي. وصحح كثيراً من الروايات الواردة فيه.

محمد صديق حسن القنوجي (ت١٣٠٧هـ) في كتاب «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» مطبعة المدني بالقاهرة ص ص ١١٢-١١٣،

١٤٥-١٤٥ . ذكر أنها كثيراً جداً وتبلغ حدّ التواتر. كما ذكر عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي.

محمد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥هـ) في نظم المتناثر من الحديث المتواتر (المطبعة المولوية بفاس ١٣٢٨هـ) في الحديث رقم ٢٩٨ ذكر أحاديث خروج المهدي المنتظر الفاطمي، وذكر رواية عشرين من الصحابة ومخرّجيها. وردّ كلام ابن خلدون كما فعل القنوجي.

المباركفوري (ت١٣٥٣هـ) في تحفة الأحوذي (تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية الحديثة بالقاهرة) ٦/ ٤٨٤ يؤكد ما جاء في الترمذي.

الشيخ محمد الخضر حسين (ت١٣٧٧هـ) نشر بحثًا في مجلة التمدن الإسلامي - دمشق في المجلد، العددين ٣٦،٣٥ (١٣٧٠هـ) وردّ بحسم على منكري أحاديث المهدي، إذ أورد اعتراف ابن خلدون - رغم إنكاره - بسلامة قلة قليلة من النقد. وعقّب «متى ثبت حديث واحد من هذه الأحاديث وسلم من النقد كفى في العلم بما تضمنه من ظهور رجل في آخر الزمان» ثم بين أن الصحابة الذين رويت من طرفهم أحاديث المهدي بلغوا ٢٧ صحابيًا .

أحمد بن الصديق الغماري (ت١٣٨٠هـ) وضع كتابًا للرد على ترهات ابن خلدون حول الموضوع، وسماه «إبراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٤٧هـ).

محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٢هـ) نشر في مجلة التمدن الإسلامي جـ٢٨،٢٧، ص ٦٤٢ بحثًا في باب «من القراء وإليهم» وقال فيه: إن في خروج المهدي أحاديث كثيرة صحيحة، قسم كبير منها له أسانيد صحيحة (أورد قسمًا منها) وهاجم رشيد رضا وغيره الذين لم يتتبعوا ما ورد في المهدي حديثًا حديثًا، ولا توسعوا في طلب ما لكل حديث منها من الأسانيد، ولو فعلوا لوجدوا ما تقوم به الحجة في الأمور الغيبية التي زعم البعض أنها لا تثبت

إلا بحديث متواتر. وختم الألباني أن عقيدة خروج المهدي ثابتة متواترة عنه صلى الله عليه وآله وسلم، يجب الإيمان بها، لأنها من أمور الغيب. والإيمان بالغيب من صفات المتقين.

ألقى الشيخ عبد المحسن بن محمد العبّاد محاضرة بعنوان: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثالث، من السنة الأولى، لشهر ذي القعدة ١٣٨٨هـ. احتوت على عشرة مطالب. قال في ختامها: «فلا عبرة بقول من قفا ما ليس له به علم فقال: إن الأحاديث في المهدي لا تصح نسبتها إلى رسول الله ﷺ؛ لأنها من وضع الشيعة».

وعقب الشيخ عبد العزيز بن باز على المحاضرة نفسها في ذيلها، بأن أمر المهدي معلوم والأحاديث فيه متواترة، وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك. وأن جمهور أهل العلم متفقون على ثبوت أمر المهدي وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان.

(٧-١)

يذكر شوقي ضيف «أن اللغويين ينفرون من الاستشهاد بأشعار المكيين من مثل عمر بن أبي ربيعة وعبد الله بن قيس الرقيات، فقد كانوا لا يوثقونهم ولا يعدونهم فصحاء؛ لهذا الاختلاط بالأعاجم الذي صاروا إليه»[(1)].

ونرى أن المعاجم وكتب النحو لا تؤيد هذا الزعم. إذ لو نظرنا في أكبر المعاجم القديمة، (نعني لسان العرب لابن منظور، الذي هو ضم لخمسة معاجم قبله) لوجدنا شواهد للمذكورين في أربعة من الكتب التي أدرجت فيها. ولسهولة الوصول إلى النتيجة ننصح القارئ بالعودة إلى كتاب ياسين الأيوبي

---

(١) شوقي ضيف. الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ط٥، القاهرة. دار المعارف ١٩٩٢ ص ٢٢٣. ويلاحظ أن الطبعة الأولى صدرت ١٩٤٩ بعنوان معدل غير أن الأحكام فيها واحدة

«معجم الشعراء في لسان العرب»، وإن أراد التوسع فعليه بكتاب خليل عمايرة ورفيقه «فهارس لسان العرب».

وإذا جئنا إلى كتب النحو فيكفينا اختبار هذه المقولة في كتاب سيبويه، إذ هو إمام النحاة، وهو قريب العهد بزمن هؤلاء (توفي شابًا في نحو ١٨٠هـ) نجد في الكتاب ثمانية عشر شاهداً لعمر بن أبي ربيعة، وأربعة شواهد لعبد الله ابن الرقيات، وشاهدين لرفيقي دربهما: الأحوص ونُصيب.

أما الزعم بأن الاختلاط بالأعاجم هو الذي أبعد شعرهم عن الاحتجاج فوهم وقع فيه معظم من كتب عن الاحتجاج بالشعر في الدرس اللغوي القديم؛ اعتماداً على سوء فهم لعبارات وردت في المزهر للسيوطي (ت٩١١هـ)، وخزانة الأدب للبغدادي (ت١٠٩٣هـ) وكان من الأفضل فحص مقولات هذين العلمين[1] ، من خلال النظر في كتب النحو والبلاغة. ولنا عودة إلى هذا الموضوع في بحث آخر.

أقول: لو كان الاختلاط سببًا في الرفض، لما وجدنا للأعشى الكبير ولا لعدي بن زيد العبادي، ولا للنابغة الذبياني شاهداً في كتب النحو. ونحيل القارئ إلى فهارس كتاب سيبويه ليرى شواهدهم هناك.

(٧-٢)

وذكر هدارة (ص٥٣٥) أن الخليل بن أحمد نظر في الشعر الجاهلي يستخلص أوزانه نعرف منها خمسة عشر وزنًا، ثم جاء أبو الحسن الأخفش فاستدرك على الخليل وزنًا آخر، استخدمه الجاهليون نادراً، ولكنه مع ذلك وجد في أشعارهم .

---

(١) انظر السيوطي المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ط عيسى الحلبي ١٩٥٨ جـ١ / ٢١١ وما بعدها وعبد القادر بن عمر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق. عبد السلام محمد هارون ، ط٢، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١ / ٦

ونقول: إن استدراك الأخفش بحراً زائداً على ما ذكر الخليل أسطورة لم تثبت صحتها. والأخفش أول من يكذبها. فللأخفش كتاب في العروض والقافية أخرج ثلاث مرات، على أيدي ثلاثة من المحققين. ولا أثر لهذه الأسطورة فيه. وكان هو نفسه أول من سيذكرها ويفخر بها. وإذا افترضنا جدلاً أنه قال ذلك على فراش الموت، كما في أفلام السينما العربية الرديئة؛ فكان ينبغي أن يظهر في كتب تلاميذه، أو تلاميذ تلاميذه، ممن عهدهم بوفاته ليس بعيداً. لكن العجيب أنك لا تجد في كتب العروض والقوافي في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع ذكراً لهذا الاستدراك. وأمامك كتب أبي يعلى التنوخي وابن جني والنهشلي حتى حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) في «منهاج البلغاء وسراج الأدباء». فإذاً لابد أن هذه الأسطورة ظهرت بعد ذلك، ولم يأبه لها المحقق/ المؤرخ.

***

تذييلان

أولاً: بعد كتابة هذا البحث، وجدت صديقي العالم الجليل الدكتور محمد عبد المجيد الطويل، قد سبق في الحديث عن أسطورة استدراك الأخفش بحراً على الخليل بن أحمد الفراهيدي. انظر بحثه «أسطورة تدارك الأخفش للبحر المتدارك» مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ٢٢ (ديسمبر ١٩٩٧م) ص ص ٥-١٦ .

ثانيًا: للصديق الدكتور سامي سليمان أحمد بحث قيم في مجلة (فصول) العدد ٦٧ صيف وخريف ٢٠٠٥م ، عنوانه: «التوفيقية ومشروع دراسة تاريخ الأدب العربي عند شوقي ضيف» ص ٣٥٢-٣٨٠ .

وهو في غرضه من البحث يختلف عن غرضنا هنا، غير أنه يلتقي، دون قصد، معنا في الفكرة. وإليك بعض ما توصل إليه:

(٣٥٨): يتحدث عن استخدام ضيف لعنصر الجنس في تفسير بعض الظواهر البارزة في شعر العصر العباسي الأول؛ إذ ردّ كثيراً من مظاهر (الخلاعة) و(المجون) والمبالغة في (التحلل الخلقي) إلى الجنس الفارسي.

(٣٦١): يرى أن ضيفًا يقبل كثيرًا من مبالغات شعراء المدح التي يخلعونها على ممدوحيهم، في ذلك الوقت الذي يرفض فيه المبالغات التي تبدو في كثير من الأشعار الشيعية، فيصفها بصفات من قبيل (المزاعم) و(التمادي في الغلو والبهتان والإثم) و(الغلو المقيت) وغيرها من الصفات!!

(٣٦٨): يرى أن قصيدة المدح عند ضيف قصيدتان، الأولى ما نجده في مدائح أبي تمام والمتنبي، والثانية ما نجده في مدائح مهيار الديلمي وغيره للخلفاء والوزراء والحكام في المناسبات. ففي الضرب الأول تقرأ (حقائق واقعة)! أما في الضرب الثاني فلا تقرأ إلاّ ملقًا وتزلفًا ورياءً!!

ooo

اللسانيون التراجمة
يقولون ما لا يفعلون

اللسانيون التراجمة يقولون ما لا يفعلون

(١)

حفل ملتقى النص (٣) بأبحاث ومقالات قيمة دارت حول الترجمة من زوايا عدة: النظرية والتطبيق، الترجمة واختلاف الثقافات، علاقة الترجمة بالإبداع، ترجمة الكتب المقدسة، ترجمة الشعر، الترجمة الوسطية، المترجم مبدعًا، تاريخ الترجمة في العالم، علاقة الترجمة بإثراء قواعد العربية... إلخ.

ورغم تقاطع بعض القراءات مع بعض فقد كان كل بحث متميزًا وإن لم يسلم من جوانب قصور. على أن معظم الأبحاث اكتنفها عيوب (عربية) معتادة، ترجع إلى أصل واحد مفاده أن اللسانيين التراجمة يقولون ما لا يفعلون. فهم يتحدثون في هذا الملتقى وقبله عن:

١- انضباط العنوان ومطابقته للمحتوى.

٢- ضرورة الإفادة من الإنجازات السابقة في مجال الترجمة والبناء عليها توفيرًا للجهود.

٣- تمكن المترجم من اللغتين: المصدر والهدف حتى يكون فيهما سواء، أو في اللغة القومية على الأقل.

٤- انضباط لغة البحث، فلابد أن تكون مفهومة؛ لخلوها من التعقيد والترهل.

وسيرى القارئ الكريم أن حظوظ المقالات من الالتزام بالأقوال متفاوت، وأن أصحابها يقولون ما لا يفعلون؛ إلا من رحم ربك. وسنبدأ بالعناوين [وضعنا (بين قوسين) ما يتم به المعنى من عندنا]:

مشكلات الترجمة في المصطلح العربي اللساني (من خلال كتابين مترجمين)

ترجمة الأدب (الروسي) وإشكالية اللغة الوسيطة.

رُهاب الترجمة صراع ثقافي (من خلال الإمتاع والمؤانسة).

النص الملحمي مترجمًا (الفردوس المفقود نموذجًا).

الشعر العربي الحديث مترجمًا إلى الإنجليزية (أدونيس نموذجًا).

الترجمة المسرحية واقعها وآفاقها (من خلال مسرحيتين عربيتين).

الثقافات عبر الترجمة: القصة القصيرة (في السعودية) نموذجًا .

ثقافة النص المترجم (في ترجمات الكتاب المقدس والقرآن الكريم).

من قضايا ترجمة النص الإبداعي (من العربية إلى الأردية).

قابلية الثقافات للترجمة (عرض ونقد).

من المكتوب إلى المرئي (بين رواية الحرافيش وفيلم الجوع).

رؤية لواقع الترجمة في مجال تاريخ الجزيرة العربية (جهود دارة الملك عبدالعزيز).

(٢)

بعد ذلك نجد كُتّاب الملتقى لا يبنون على إنجازات سابقة متوفرة بين أيديهم، بل يرغبون عنها، ويذهبون ناقلين من أصلها الإنجليزي، كما حدث مع أعمال نيدا ونيومارك وباسل حاتم. وآخرهم يستحق وقفة، فهو عربي وعمله مكتوب بالإنجليزية أصلاً، أعني كتابه «الخطاب والمترجم». والرجل يشرف على برامج الترجمة ويدرّسها في جامعة هاريوت البريطانية. ترجم كتابه إلى العربية عمر فايز عطاري بتكليف من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٩٩٧م، وأظن أن ست سنوات كافية لتعرّف الترجمة وشيوعها خصوصًا أن الذين رجعوا إلى الأصل الإنجليزي جميعهم يعمل في الجامعات السعودية.

فليس للأمر تفسير في نظري إلا محبة التعالم، ورؤية العناوين مطبوعة بحروف لاتينية. وقد يهون الأمر لو لم تحدث أخطاء في كتابة البيانات أيضًا!

بإمكان القارئ الرجوع إلى صفحات ٢٠٩، ٣١١، ٤٠٧، ٤٢٦، ٥٠٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٧٧، ٧١٨، ٧١٩.

(٢)

ثم نأتي لننظر في بعض المقالات معلقين على ما جاء فيها.

ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريفها - حسن غزالة.

الكاتب مشهور في مجال الكتابة عن الترجمة، لكنه في مقاله هنا - على قيمته - يشبه اللاعب المشهور المستهين بالتمرين اعتمادًا على أن الشهرة تغني، ثم تأتي المباراة لتثبت أن التمرين المستمر لا غنى عنه، فلولاه ما حافظ المشهور على مستواه.

أقصد أن الرجل كان خطيبًا واعظًا لا باحثًا، فالفقرات المختلفة تكرر محتوى واحدًا، ثم إن الألفاظ الحماسية والجمل العاطفية هي السمة الأسلوبية في هذه الفقرات، والرجل، إذا جاريناه في بعض تعبيراته، (يزعل) إذا توصل الكتّاب إلى مصطلح عربي البنية لم يستشيروه في صياغته! ولقلة التمرين نراه يلقي بمعلومات خاطئة. وإليك أمثلة:

٢٥ف١ الماركسية مرتبطة بفكر المفكر اليهودي الروسي ماركس.

ولا أدري كيف غاب عنه أنه ألماني.

٢٧ف٢، ٢٨ف١ ذهب إلى أنه استسهل المصطلح الأجنبي وهجر العربي كونه أسلس في النطق مثل رومانسية ورومانطيقية، ثم قال إنها: «ادعاءات لا أساس لها لغويًا ولا منطقيًا ولا لفظيًا ولا مدلوليًا» ثم ذكر مرتين أن العربية لغة كتاب الله ولغة نبيه، و«لن تكون هناك لغة لا أحلى ولا أفضل ولا أجمل ولا أسلس منها» ولاحظ الإسهال اللغوي، ولا نقول الإسهاب غير المفيد

٢٨ف٢ «أما تيمة فلا أرى مبرراً ولا طعماً ولا فكاهة».

أقول: هذه لغة غوّار الطوشة ورفيق دربه أبو عنتر!

ص ص ٣٠ ٣١ يرى في بعض المصطلحات العربية رطانة، ومنها طاهراتية التي يفضل أن تحل ظاهرية محلها. ونسي أن الأخيرة دالة على اتجاه فقهي في التراث العربي، وأن التي بصيغة الجمع تعني شيئاً آخر لا علاقة له بصاحبتها.

٣٦ف٢: هل يرفض الفرنسي الفرنسة (...) أو الإسباني الأسبنة، بالطبع لا. فهم على خطأ إذاً؟ أم أن الخواجة غير شكل! أهؤلاء الغيورون والحريصون على لغتهم، أم أولئك أبناء جلدتنا الذين لا غيرة عندهم ولا حرص على لغتهم العربية؟ الإجابة بدهية».

أقول: لا أدري إن كان الكاتب يعد نفسه من الغُيُر على اللغة العربية أم لا؟ فإذا كان كذلك فإن لغته/ فعله تنفي قوله.

٤٠-٢ إلا ما اضطررنا عليه. صوابه: إليه.

٤١-ف٣ محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، القاهرة. مكتبة النهضة. صوابه: دار غريب.

ص٤٢ (في المرجع): جيه ستيتكوفيتش: اللغة العربية الفصحى الحديثة (باللغة الإنجليزية) مطبعة شيكاغو: شيكاغو: الولايات المتحدة.

قلت. الكتاب صادر عن جامعة شيكاغو ١٩٧١م. وترجمه د. محمد حسن عبدالعزيز بالعنوان نفسه. في القاهرة ١٩٨٥م. وصحة اسم المؤلف الأوكراني الأمريكي (ياروسلاف ستتكيفتش). ولكاتب هذه السطور ملاحظات على الكتاب والترجمة معاً. منشور في «المجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت» خريف ١٩٨٧م. فراجعها إن أحببت.

(٤)

مشكلات الترجمة في المصطلح العربي اللساني – مازن الوعر.

الكاتب من تلاميذ تشومسكي، برز في النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين، ولا نجد لـه في التسعينيات شيئًا ذا قيمة، إذا استثنينا بحثه عن جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب، الصادر عام ١٩٩٩م.

في هذا المقال نجد الكاتب يلجأ للتكرار، ففي الصفحتين الأوليين يلخص البحث، ثم يكرر الملخص في التمهيدي، ثم يكون البحث الذي هو نقد كتابين مترجمين! وقبل أن نلقي بملاحظات بسيطة نقول: إنه أصر على تسمية اللساني الإنجليزي جون ليونز(جان) (ص٤٥، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧) وهذا تفرد من الباحث، فقد ترجمت أربعة كتب وكلها عليها (جون) = Jhon.

غمز الوعر من قناة المترجم محمد زياد كبة، الذي نقل كتاب تشومسكي إلى العربية ونشره النادي الأدبي في الرياض ١٩٨٧م. كما نعى على مصطفى صالح أن بين ترجمته كتاب «اللسان والمجتمع» ونشر الكتاب بلغته الأصلية ١٨ عامًا. ونقول: ما قولك في أن الكتاب المنسوب لدو سوسير (صدر ١٩١٦م) لم ينقل إلى الإنجليزية إلا عام ١٩٥٩م؟ إلام تعزو ذلك؟ ألتخلّف الإنجليز عن ركب اللسانيات البنيوية؟ أم لشعورهم بأنهم غير محتاجين إليها؟ ثم أنت نفسك عرضت كتاب «تشومسكي» لجون ليونز في «اللسان العربي» ص ص ١٨٦-١٥٧ العدد ٣١ ديسمبر ١٩٨٩م، في حين أن عارضًا آخر سبقك إلى ذلك بثلاث سنوات، بعنوان: «النظرية التوليدية ومناهج البحث عند تشومسكي» مجلة (الفكر العربي المعاصر) العدد ٤٠ (١٩٨٦م)! وأنت في تقديمك عرضت طبعة ١٩٧٢م المنقحة، الصادرة في سلسلة (Fontan's Modern Masters Series).

نعم كان الكتاب مترجمًا على يد الدكتور حلمي خليل، بعنوان «نظرية تشومسكي اللغوية» الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥م. فلا تنه عن خُلق وتأتي مثله .

وصف الكاتب المترجم محمد زياد كبة بعدم التخصص، وعدم اتباع خطة موحدة في ترجمة المصطلحات، وأنه لم يضع المفاهيم اللسانية الغربية بمصطلحات عربية تراثية لها نفس المفهوم.

ونقول: بل إنه متخصص وله من الترجمات - غير ما ذكر الكاتب:

١ - مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، تأليف جفري سامسون، الرياض: جامعة الملك سعود ١٩٩٧م .

٢ - اللغة وسلوك الإنسان، تأليف ديريك بيكرتون، الرياض: جامعة الملك سعود ٢٠٠١م .

أما ترجمة المصطلح الواحد بأكثر من لفظ فلا ننفيه عن الدكتور كبة، لكنه ليس بدعًا في ذلك، فذلك مرض ثقافي عربي عام. وأما أنه لم يستخدم مصطلحات تراثية عربية فحسنًا فعل، ذلك أن التطابق بين المفهومين: الغربي والعربي غير لازم، بل قد يكون مضللاً. فهل نقول إن: Surface Structur يعادل (الظاهر) وأن (المقدّر) يعادل deep structure أم أن الأول يعادل: البنية السطحية والثاني يعادل البنية العميقة؟

ثم ما عيب (قواعد اختيارية) و(قواعد إجبارية) حتى نستبدل بهما: القواعد الجوازية والقواعد الوجوبية؟

وفي الختام يذكر - دون مناسبة - أنه صاحب نموذج عربي لساني عصري يستمد مكوناته النظرية من النظرية اللسانية العربية القديمة ومن التقنيات الحديثة للنظريات الغربية (ذكر النموذج). ونحن نستحلفه بالله وبكل مقدس أن يقول بينه وبين نفسه: أي النموذجين أدق وأكثر اختصارًا، القديم أم الجديد؟

(٥)

معايير متقدمة حول الترجمة في النقد القديم - محمود إسماعيل عمار.

البحث واف بموضوعه، سليم في لغته عمومًا، جيد في عرضه لكن ذلك لا يعني خلوه من هنات هينة.

٥-٧١ وجدنا من الصحابة الفارسي والرومي والحبشي والنوبي والسوداني.

نقول: عرفنا سلمان الفارسي وصهيباً الرومي وبلالا الحبشي، فمن الأخيران؟

ورد في ص ٧٨،٧٦ يوحنا بن موسويه. وصوابه : ماسويه.

في ص ٨٦ ، ٩٧ ابن وهبلي، صوابه: وهيلي بياءين .

٨١/١ كان يجيئهم لفتوى أو تذكار.

٩٢ف أسقطت كلمة من نص الجاحظ «... وسقط موضع التعجب (منه)».

١٠٨ ف٤ سقط من نص الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٢٣ بعد كلمة الصورية: الأيسية والليسية.

١١٥ ف٤ ويحملها طلقات شعورية. صوابه: طاقات .

ترجمة الإبداع وإشكالية اللغة الوسيطة - مرتضى غازي عمروف.

ورد في ٢١٢ الفضل بن خاتم وصوابه: حاتم (بالمهملة). والألماني فيلغيلم فون غمبولت. وصوابه: فيلهلم فون همبولت .

وإذا تغاضينا عن العجمة في بعض فقرات البحث، فإننا لا نستطيع التغاضي عن الخطأ في الهوامش والمراجع .

٢٢٨هـ ٢،١ الترجمة إلى العربية قضايا وآراء ، د. بشر العيوي. صوابه: عيسوي .

٢٣٠- ٢ خلوصي، صفاء، بغداد، الهيئة العامة للكتاب، صوابه: القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٣٠-٣ فن الترجمة في الأدب العربي، حسن محمود عبد الغني... صوابه: محمد عبد الغني حسن .

رُهاب الترجمة صراع ثقافي - ميجان الرويلي .

٢٦٠ف٣ والكل يذكر أطروحة إدوارد سابير حيث يشير في عام ١٩٥٦م إلى...

أقول: أنى له ذلك وقد مات في ١٩٣٩م؟ وأرى أن سبب الخطأ عائد إلى اعتماد الرويلي كتابه «الثقافة، اللغة، والشخصية» الصادرة طبعته الثانية عام ١٩٥٦م بعد أن شبع موتًا، فتأمل. وبالمناسبة ورد في ص ٢٧٧ هـ٤ أن الكتاب طبع عام ١٠٥٦، أي قبل اختراع جوتنبرج للطباعة.

٢٦١-١٠ أكد بوري لوتمان في عام لاحقًا. صوابه: لاحق.

٢٦٢-١٥ التي يسوقوها هؤلاء المنظرون!!

٢٦٣-٣،٤ أما عندنا... يفصح عن نفسه.

٢٦٦-٦ من أن يكون في بيانه في نفس الترجمة في... صوابه حذف (في) الأولى

٢٧٢ - ١٤ ما خص به قون قوم. صوابه : قوم دون قوم.

١٧٨- هـ ورد اسم العلم جاك هكذا Jscopon وصوابه Jacques.

النص الملحمي مترجماً - عزت خطاب.

٣٤٠ ف٢ ثم إن عناني يشير إشارة عابرة إلى وجود ترجمات عربية لأهم الملاحم الإغريقية والرومانية أي الإلياذة، الأوديسة، الإنياذة، مسخ الكائنات وفن الهوى...

قلت: الأخيرتان ليستا ملحمتين بحال.

٣٤٠-٤ من أسفل: تسعة وثلاثين صفحة. صوابه: تسع.

٣٥٦- وهي ملحمة دينية والتي نشرت... صوابه بحذف (والتي).

تشكيل الفعل العربي عبر الترجمة - لمياء باعشن وصباح صافي.

دراسة تقابلية ممتازة بين العربية والإنجليزية، ركزت على صيغة المصدر الصناعي في العربية، وميزت بينها وبين أشكال تشبهها، وبينت دلالات المصدر المحتملة. وكيف ترجمت أشكال وصيغ من الإنجليزية إلى العربية بهذه الصيغة. ولكن عنوان البحث - كما لاحظ الدكتور الفيفي - غير واضح البتة وفوق ذلك

ذهبت الباحثتان إلى جدّة بعض الألفاظ الواردة على هذه الصيغة، في حين أنها واردة في تراثنا القديم. ونحيلهما على كتابنا «العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية» القاهرة: دار غريب ٢٠٠٢م، ص ص ٩٧-١٠٣ .

دراسة نظريات الترجمة من القديم إلى الجديد – عبد الوهاب الحكمي .

بحث قيم على ما فيه من تكرار: والتكرار هين إذا نظرنا في الأخطاء اللغوية التي لم تغادر الفاعل والمفعول والتمييز، حتى جاوزت العشرين. ولا يظن القارئ الكريم أننا سنقف عندها؛ لأن هذا لن يحدث وسنكتفي بالأخطاء الواردة في الأعلام :

ففي ص ٦٢٠ يتحول ابن ناعمة الحمصي إلى ابن نعيمة، وفي ص ٦٢٣ يتحول الألماني فردريش شلاير ماخر إلى سكيير ماخر. وفي ص ٦٢٩ يصبح بنيامين لي وورف: ورث. ثم نجد مؤلفي «معنى المعنى» أوجدن وريتشاردز (نعم بزاي نهائية) يصبحان أوجدين وريتشرد (ص٦٣٠).

بعد ذلك نرى بكتال واير فنج متحولين إلى بكتهول وأروفنج .

أما ص ٦٣٨ فنتحدى الباحث نفسه أن يكون راضيًا عنها، إذ نعتقد أن أسطرًا سقطت فاستغلق علينا فهم ما بها. والعجيب أنها تدور حول عدم الدقة في اسم الكاتب (!) وها نحن نورد بعض ما جاء فيها وفي ص ٦٤٠ مقابلة بالصحيح:

ما جاء عند الباحث	الصواب
روبر وليس	روبرت لويس ستيفنسون
اثر كونان دويل	آرثر كونان دويل
إميلي فرونتي	إميلي برونتي
ج. هت. ويلز	ج.هـ. ويلز
د.هـ موراتس	د.هـ. لورنس

وفي الإحالات أخطاء بسيطة تظهر بسهولة للقارئ باستثناء ما جاء في (٦٦٩ - ١) محمد المهنمي العبادي، إذ المقصود محمد المنجي الصيّادي .

وفي ص ٦٣٠ أشار إلى الجدول التالي، ولا وجود له .

وفي ص ٦٣٤ «نجد الدكتور عبد السلام المسدي يضع في نهاية كتابه الأسلوبية والأسلوب، نحواً بديلاً ألسانيًا في نقد الأدب، وكشافًا للمصطلحات».

والواقع أن ما تحته خط داخل ضمن العنوان محرفًا صوابه: «الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب». ولاشك أن المؤلف وضع كشافًا كما قال.

٦٣٩ف١ «وترجمت كل أعمال شكسبير في مجلة المسرح التي مازالت تصدر حتى اليوم».

ونقول: إن المجلة المشار إليها غير التي توالي الصدور حتى اليوم.

٦٤٢ف١ ترجمة المرحوم محمد هلال لكتاب جان بول سارتر الأدب... صوابه: محمد غنيمي هلال.. ما هو الأدب.

- ترجمات قصص إيرنست همنجواي وكولن ولسن مثل: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث والمنتمي وما بعد المنتمي كانت مقبولة .

- أقول: هذه العناوين ليست قصصًا بأي حال، بل هي كتب فكرية نقدية تتخذ من الأعمال الأدبية مطية للتحليل. بل إن العناوين خطأ أيضًا وصحتها على التوالي: المعقول واللامعقول في الأدب الأوربي الحديث، اللامنتمي، ما بعد اللامنتمي. أما الروايات/ القصص التي نشرت في العربية لكولن ولسون/ ولسن فهي: ضياع في سوهو - الشك - الحالم - القفص الزجاجي - إله المتاهة - الاستحواذ - العناكب. من أغلبها منشورات دار الآداب ببيروت .

- في ص ٦٤٣ جدول ذو نهرين، سقط من النهر الأول العدد ١٩٨٤، كما سقط من الثاني العدد ١٩٦٨ .

٦٤٤ ف٢ يذكر أن الكتب المترجمة في سلسلة عالم المعرفة ٢٢ (!) ولا تعليق

وفي ص ٦٤٥ ينقل عن غيره أن المملكة المغربية ترجمت كتابين فقط في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٠م (!).

٦٤٤ ف٤ موقع التعريب من التثقيف والأسلحة! وصوابه: موقع التعريب والترجمة من التثقيف والأسلمة (بالميم).

ونختم بضرورة حذف كلمة (عشر) من ص ٦٤١ في العنوان: «... وحتى العقد الثامن عشر من القرن العشرين».

دراسات اللغة ودراسات الترجمة - محمد بن عبد الله العبد اللطيف.

للكاتب في اسمه رسمان: الذي ورد مصاحبًا للعنوان، ثم الذي كتب في رءوس الصفحات (آل عبد اللطيف). ربما كان هذا مؤذنًا باجتهاده الذي خالف فيه كل الكتاب عندما أورد أعلامًا أوربية فيها القاف والصاد.

لديه ر. ليڤ هاريس - صاندرز بيرس - دوبوقراند - قريڤوري - ولفقانق- خوان ساقر - يورق هانز قدامر. تعارف زملاؤه اللسانيون التراجمة على إيراد هذه الأسماء إما بالغين أو بالجيم، وهي في المنشأ بالجيم السامية.

ولكن هذا الاجتهاد الذي أخطأ فيه لا يحرمه من الإجادة في عرض قضية العلاقة بين تطور الدراسات اللسانية وتأثيرها في علم الترجمة أو إن شئت في نظريات الترجمة، منذ القرن التاسع عشر حتى دريدا. كما لا يحرمه أنه أورد اسم الإناسي البولندي برونسلاف مالينوفسكي هكذا: «برانسلاف مالينوسكي»، وأورد التداولية بالشكل الذي يغضب حسن غزالة: البرجماتيكية والبرقماتيكية.

ويحسب له أن -ضمن قلة قليلة- أورد اسم اللساني الدنمركي على وجه صحيح كما ينطق: لوي يلمسليف؛ في حين إن إخوتنا في العروبة يكتبونه: لويس هيلمسليف.

على أنه رغب - كغيره - عن استخدام الأعمال المترجمة، فنجده في قائمة المراجع يذكر الأصول الأجنبية التي ذكرناها في بداية كلامنا، إضافة إلى كتاب تشومسكي المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها (١٩٨٦م)، وهذا الكتاب ترجمة د. محمد فتيح ونشراته دار الفكر العربي (١٩٩٣م)

ذكّرتني كتابة الأعلام الأجنبية بحالة فريدة من نوعها، لم أرَ من نبّه عليها غير د. حسن البنا عز الدين. فسعيد الغانمي ترجم كتابًا عنوانه «السيمياء والتأويل» ولا يخلو مقال في علامات أو جذور أو أخواتهما من الإشارة إليه، في حين أن اسم المؤلف، بل لقبه خطأ صريح. كيف؟ جاء الغلاف أنه روبرت شولتز والأخيرة أصلها سكولز، سين وكاف ثم واو مد تليهما لام وزاي ساكنتان. نعم هي Scholes تمامًا كلاعب نادي مانشستر يونايتد الأصهب الذي يحمل رقم ١٦، وأحيانًا يلبس رقم ١٨ (*) ويمكن القراء الرجوع إلى موقع النادي على الإنترنت، وسماع المعلقين ينطقون الاسم الذي يحمل الهجاء نفسه كما قلنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

■■■

تذييل

(*) نشر في مجلة (علامات في النقد) العدد ٥٣ رجب ١٤٢٥هـ = سبتمبر ٢٠٠٤م، وقد حذفنا منه أشياء كثيرة خاصة ما يتعلق بأخطاء النحو والصرف والطباعة. وأبقينا ما نرى أنه يصدق على أبحاث الملتقى المنقود وعلى غيرها إذ إن لنا نحن الباحثين العرب - خصائص بنيوية لا تتغير.

■■■

(*) اعتزل في آخر مايو ٢٠١٣ مع اعتزال المدرب أليكس فيرجسون التدريب

المستشرقون وخبز الشعير المذموم

المستشرقون وخبز الشعير المذموم

طالعت في العدد العاشر من مجلة جذور مقالة مجبل لازم المالكي[1] (تحقيق التراث العربي - نشأته ومناهجه) ولم أجد فيه جديداً إلا أقل القليل. ولفت نظري في محتواها فكرة تتكرر عند (المحققين) العرب، سواء في كتبهم ومقالاتهم التنظيرية أو في تحقيقاتهم لكتب سبق أن أخرجها قبلهم بعض المستشرقين. تقوم الفكرة على ذم هؤلاء المستشرقين الذين تعلموا من أعمالهم طرق التحقيق الحديثة. ويصدق عليهم القول الشائع أنهم «مثل الشعير يؤكل ويُذم» وسنقصر حديثنا على بعض المذمومين الألمان الذين أخرجوا قسمًا من كنوزنا الأدبية إلى النور.

بعضهم اتخذ لنفسه اسمًا عربيًا، من حبه لهذا التراث العربي. فهناك «فلهلم آلفرت» الذي أخرج دواوين الشعراء الستة الجاهليين، والأصمعيات، وديوان العجّاج وغيرها. وقد سمّى نفسه (وليم بن الورد البروسي) وهناك «أوجست موللر» ناشر طبقات ابن أبي أصيبعة، سمى نفسه: امرئ القيس بن الطحان، و«فريتس كرنكو» يسمي نفسه الحاج سالم الكرنكوي، وبعضهم احتفظ باسمه الأصلي مثل: «هلموت ريتر» الذي أخرج (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني.

فأما وليم بن الورد فقد هاجمه عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيقهما مجموعة (المفضليات) للمفضل الضبي، ومجموعة (الأصمعيات) للأصمعي، كان الهجوم قاسيًا ومع ذلك اعتمدا على نشرته

---

(١) الأستاذ المشارك في قسم المكتبات، بكلية الآداب، جامعة صنعاء

وقد لا نجد حتى النسخ التي دونته، ولولا ظروف الحرب الحاضرة لاحتجنا في الحصول على النسخة المصورة عنها إلى سنوات، بعد أن سقط منها أشياء لا نستطيعها وهي غائبة ... والمقصود الحرب العالمية الثانية، وقد مرت عقود ولم يرجعا إلى هذه النسخة المرغوبة، إلى أن انتقلا من حياة الغفلة إلى الدار الآخرة.

كما نجد انتقاد عبد السلام هارون في تحقيقه كتاب (الاشتقاق) لابن دريد، من نشرة فستنفلد، ومع ذلك هاجمه في مقدمة نشرته.

وإذا هلموت ريتر فقد هاجمه شيخ العربية أبو فهر محمود محمد شاكر، عندما أعاد تحقيق كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، فاعتمد شاكر النسخ الثلاث المخطوطة التي اعتمدها ريتر[1] ومع ذلك وصف طريقته في التحقيق بأنها طريقة ضعاف المحققين المحدثين في زماننا، بالاستكثار مع ذكر مراجع كثيرة لأبيات الشعر التي استشهد بها عبد القاهر، في كتب ألفها البلاغيون الذين جاؤوا من بعده؛ لأنهم لم يأخذوا هذه الشواهد إلا من كتاب عبد القاهر[2]، وهذه هي الطريقة نفسها التي اتخذها أخوه الأكبر أحمد وشريكه عبد السلام هارون في تخريج أشعار المفضليات والأصمعيات فهل هما من ضعاف المحققين؟ وإذا سلمنا بضعف طريقة ريتر حق لنا أن نتساءل عن الاختلاف الجوهري بين الطبعتين في المتن. وقد قابلت بينهما فقرة فقرة، فكانت مواضع الاختلاف خمسة لا غير، وهو أمر هين في كتاب بحجم الأسرار. ووجدت شيخ العربية في تخريج الشعر يكتفي بقوله: هو في ديوانه[3] فكيف يصنع القارئ إذا أراد المقابلة بين روايات الشعر المختلفة؟

---

[1] انظر مقدمة طبعتي المفضليات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون: الطبعة الأولى ١٩٤٢، والطبعة السادسة عام ١٩٩٣م، وكلتاهما عن دار المعارف بالقاهرة، ص ١١. وانظر مقدمة الأصمعيات، ط الأولى عام ١٩٥٥، والثانية عام ١٩٩٣، وكلتاهما عن دار المعارف أيضاً ص ٧.

[2] انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق هلموت ريتر، استانبول، وزارة المعارف ١٩٥٤م. وتحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة ١٩٩١م، مقدمة المحقق، ص ١.

[3] وانظر ما صنعه من شرح في تحقيقه دلائل الإعجاز، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٤.

وأي الطريقتين أسرع ليصل إلى بغيته؟ أرأيت ياعزيزي القارئ كيف يؤكل خبز الشعير ويذم؟

ونتقل إلى موضوع متعلق بكبار المحققين العرب، فهؤلاء - على فضلهم الذي لا يُجحد، وعلمهم الذي لا يُنكر ليسوا في كل حالة مبرّأين من الهوى البشري يبعدهم أحيانًا عن الجادة، وليسوا منزّهين عن حالات عناد تطوّح بهم بعيدًا عمّا ينبغي للعالم من الإذعان للحق الأبلج .

فمن ذلك أن محمود محمد شاكر أخرج كتاب محمد بن سلاّم الجمحي «طبقات الشعراء» عام ١٩٥٢م وغيّر عنوانه إلى «طبقات فحول الشعراء»[١] برغم أن الطبعات السابقة ليس فيها كلمة (فحول)، وكل المخطوطات تخلو منها أيضًا. وظل يزج بهذه الكلمة في مقدمة كل طبعة، ولم يسلم المستشرق يوسف هل، الذي أخرج الكتاب في ظروف صعبة جدًا أثناء الحرب العالمية الأولى، من وصفه بالمسكين. وقد انتقد كثيرون تغيير عنوان الكتاب، وانتقدوا نقله نصوصًا كثيرة من الموشح للمرزباني والأغاني للأصفهاني ووضعها في متن الكتاب. كان بين المنتقدين: السيد أحمد صقر، ومصطفى مندور، ومنير سلطان[٢] ، وعلي جواد الطاهر[٣] .

وفي كتاب وضعه شاكر يرد على منتقديه، ويخص الثلاثة الآخرين بوابل من حممه يقول كلامًا بليغًا يوضح رأيه في أعمال المستشرقين عامة: (لو كان عندنا صاحب مطبعة قد تعلم وشدا من العلوم شيئًا يسيرًا، فأخذ نسخًا مخطوطة من كتاب، وقابل بعضها ببعض، لاستطاع أن يخرج لنا الكتاب على

---

(١) هذا العنوان في الطبعة الأولى ١٩٥٢م الصادرة عن دار المعارف، وفي الطبعة الثانية ١٩٧٤ الصادرة عن مكتبة الخانجي ومطبعة المدني

(٢) منير سلطان: ابن سلام وطبقات الشعراء، الإسكندرية منشأة المعارف ١٩٧٨م

(٣) علي جواد الطاهر محمد بن سلاّم وكتابه طبقات الشعراء عمان دار الفكر ١٩٩٥، ص ١٠٩ - ١١٥ وص ١٣٠ على سبيل المثال والكتاب تجميع لهذه القضية، ودراسة لمكانة ابن سلام وأثره في النقد القديم والحديث

أتم صورة تطابق أصول (المنهج العلمي) وفصول (علم التحقيق) لا، بل أزيد، فإن صاحب المطبعة مستطيع أن يتفوق عليهم في إخراج الكتاب على صورة أدق وأصح وأتقن وأسلم من كل ما فعله المستشرقون بلا استثناء أحد)[1].

وهذه النزعة المستخفة بالغير قد تجعل المحقق الجليل يظن أنه قد أتى بما لم تستطعه الأوائل[2]. فيُدلّ بما توصل إليه من كشف. فقد أطال وأعاد في نشرته (دلائل الإعجاز) أن عبد القاهر ظل يهاجم القائلين بأن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات. ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة قال: (وفتشت ونقبت، فلم أظفر بجواب أطمئن إليه، وتناسيت الأمر كله إلا قليلاً، نحواً من ثلاثين سنة)[3].

وخلاصة الأمر: أن كتاب (المغني في أبواب العدل والتوحيد) للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥هـ) عندما طُبع جزؤه السادس عشر، واطلع عليه، أيقن أن المقصود بالهجوم مؤلف المغني، وأن الأقوال المذكورة في الدلائل موجودة بنصها ولفظها في المغني[4].

وما ذكره حقيقة توصل إليها العلامة شوقي ضيف قبله بتسعة عشر عامًا في كتابه (البلاغة تطور وتاريخ) ولم يُدل بعمله واكتشافه، بل ذكر ذلك بتواضع وهدوء، وبيّن أن عبد القاهر - رغم هجومه على عبد الجبار دون ذكر اسمه - قد أفاد منه، حتى ليعد مفسراً لنظريته التي توسع في تفسيرها وشرحها في الدلائل[5]. فإن لم يكن قرأ هذا الكتاب، فهو استصغار لغيره من المؤلفين

---

(١) محمود محمد شاكر: برنامج طبقات فحول الشعراء، القاهرة: مطبعة المدني ١٩٨٠، ص ١١٦

(٢) صدق هو عنه أي عمله، وفي أعناق دارسين كثيرين دين له، وكاتب هذه السطور لم يتح له أن يلتقي به، لكنه مع كل مقدماته هنا معجب بكتاباته أشد الإعجاب

(٣) مقدمة تحقيقه دلائل الإعجاز، صفحتا ب، ج

(٤) مقدمة تحقيقه الدلائل، صفحة د

(٥) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، القاهرة (ط١) دار المعارف ١٩٦٥، ص ١١٤ - ١١٩

الذين تناولوا ما تناول. فهل نقول: إنه قرأه وأفاد منه دون أن يذكره؟ هذا ما نستبعده.

ونتحول ثانية إلى المحقق عبد السلام محمد هارون الذي أخرج لنا من مكتبة الجاحظ: الحيوان، والبيان والتبيين، والعثمانية، وكتاب البرصان والعرجان[1] ومجموعة كبيرة من رسائل الجاحظ في حلة قشيبة. وإلى جوار ذلك أخرج لنا كتاب سيبويه، ومقاييس اللغة لابن فارس، ومجالس العلماء للزجاجي، والمصون لأبي أحمد العسكري. وله كتاب في تحقيق النصوص ونشرها يدرس في الجامعات. وله نقدات لكتب كثيرة نشرها غيره. ويكفيه نبلاً أن تعد معايبه. وسبق أن أوردنا كيف استفاد من خبز الشعير ثم ذمه. ونورد هنا أموراً من مخالفاته لما ذكره هو في كتابه عن تحقيق النصوص. نكتفي منها بعملين اثنين:

أ- أخرج كتاب سيبويه في أربعة أجزاء أردفها بخامس وقفًا على الفهارس المتنوعة بحيث أخمل ذكر الفهارس، التي صنعها المرحوم أحمد راتب النفاخ[2] وقد ذكر عند نشرة الكتاب الطبعات السابقة عليها، وأنه أفاد منها، لكنه لم يذكر أعمار المخطوطات التي اعتمدها ولم يأت بصورة منها. وقد حدثت هنات في نشرته، رغم الجهد الجبار المبذول منه. ذلك أن بعض تعليقات الأخفش الأوسط والجرمي لم يفصلها عن متن الكتاب[3] وسيطرت عليه أسطورة الأبيات الخمسين التي عجز الجرمي عن نسبتها إلى قائليها، فأخذ يعلق في الحواشي: إن هذا البيت من الخمسين!! ونسي أنها وصلت في الجزء الثالث من تقسيمه إلى

---

(1) كتاب البرصان والعرجان، سبق أن حققه المرحوم محمد مرسي الخولي. القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٤م

(2) هناك «فهارس سيبويه ودراسة له» لمحمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة السعادة ١٩٧٥. وهو يفهرس طبعة الأميرية ١٩١٧م ولم تكن نشرة هارون قد اكتملت وفي رأيي أن باجتماعهما تتضح مغاليق الكتاب ومسائله، ولا تغني إحداهما عن الأخرى

(3) كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام هارون (ط٢) القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ١٩٧٩ ج٣ / ٦٣٦، ٦٣٧ على سبيل المثال

٢٣٤ شاهداً فقط[١] . وفي (باب الإدغام) من الكتاب سقط منه مخرجا اللام والنون في حين أنهما مذكوران في طبعة بولاق، التي حرص على إثبات أرقام صفحاتها في أطراف صفحات طبعته[٢] ، وهما موجودان في الكتب التي نقلت مخارج الأصوات عن سيبويه. وبالمناسبة هناك قطعة من كتاب سيبويه[٣] في الجامع الكبير بصنعاء يمكن أن تعدل من متن الكتاب المنشور ولم يعرفها هارون، ولم يستفد منها سارقو طبعة هارون. ولا حول ولا قوة إلا بالله !

أخرج هارون عملاً يبدو صغيراً في نشرته، وهو «كتاب العصا» للأمير أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) يقع متنه ضمن الجزء الأول من (نوادر المخطوطات)[٤] في سبع وعشرين صفحة فقط. أخرجه بناء على ثلاث نسخ مخطوطة: (١) نسخة ليدن . (٢) نسخة الأمبروزيانا . (٣) نسخة دار الكتب التي تشبه المخطوطتين السابقتين، وكتبت بخط حديث في كراسة حديثة أكل الفأر بعض أطرافها[٥] وذكر في صدر العنوان في الطبعة الثانية (ص١٧٥) أنه عثر على مخطوط لكتاب العصا محفوظ بمكتبة خدابخش بتنه، وأنه أجرى في هذه الطبعة الثانية مقابلة على هذا المخطوط، بعد أن تأكد له أن نشرته ما هي إلا مختصر متواضع لكتاب العصا.

والواقع أن الكلام الأخير هو الصواب، لكنه لم يجر أي مقابلة. فالدكتور حسن عباس حين نشر (كتاب العصا) أشار إلى نشرة هارون، وذكر أنه اعتمد

---

(١) انظر في تفاصيل الأسطورة رمضان عبد التواب: «بحوث ومقالات في اللغة»، القاهرة والرياض: مكتبة الخانجي ودار الرفاعي ١٩٨٢ - فصل «أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه» وانظر خالد عبد الكريم جمعة: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ط٢ الكويت ١٩٨٧م .

(٢) كتاب سيبويه ج٤ ٤٣٣ وقارن طبعة بولاق ٢/ ٤٠٥

(٣) ابن جني سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق: دار القلم ١٩٨٨، ج١ / ٤٧، وابن الجزري النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، القاهرة المكتبة التجارية، ج١ / ٢٠ .

(٤) أسامة بن منقذ: كتاب العصا، تحقيق: عبد السلام هارون، ضمن (نوادر المخطوطات) ط٢، القاهرة، مصطفى الحلبي ١٩٧٢، ج١ ١٨١-٢١٥

(٥) مقدمة هارون للتحقيق، ص ١٨٠. لم يأت بصورة لأي من المخطوطات الثلاث!

على ثماني مخطوطات للكتاب، من بينها هذه المخطوطة. يجاوز متن الكتاب في طبعة حسن عباس ثلاثمائة صفحة فتأمل![1]

ooo

تذييل

عرض العالم الجليل د. محمد عوني عبد الرءوف في كتابه (جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٤م لجهود بعض المستشرقين سواء في تحقيق أعمال من التراث العربي أو في ترجمة هذه الأعمال إلى لغات أوروبية، واجتهد في النماذج المقدمة أن يبين عرض طرائق التحقيق، ومقدار ما عانوه عند بحثهم عن المخطوطات وما بذلوه في سبيل الوصول إليها، والحصول على أكبر عدد من النسخ عن النص نفسه كي يقارنوا بعضها ببعض ويصلوا إلى إقامة النص، والعمل على نشره ووضع الفهارس المختلفة له ليسهل على القارئ الرجوع إلى الكتاب، ولتصبح الإفادة منه كاملة. كما عرض لبعض الترجمات التي ينشرونها لمخطوطات عربية إلى لغاتهم المختلفة أو إلى اللاتينية. وحرص في أكثر النماذج أن يقدم ثبتًا بالمراجع التي رجع إليها المحقق ليدرك القارئ قدر ما عاناه المحقق في تحقيقه للكتاب.

ونحن لسنا في صدد عرض الكتاب أو اختصاره؛ بل سننقل منه بعض أعمال المستشرقين الألمان في التحقيق دون غيرها من الأعمال كالترجمة أو التأليف .

فيلهلم آلفارت [وليم بن الورد البروسي] (ت١٩٠٩).

- العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين ١٨٧٠م .
- مجموع أشعار العرب (٣مج) ١٩٠٣م .

---

(١) أسامة بن منقذ. كتاب العصا، تحقيق حسن عباس. الإسكندرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١، مقدمة التحقيق

جاكوب بارث (ت ١٩١٤).

- كتاب الفصيح لثعلب ١٨٧٦م .
- ديوان القُطامي (عمير بن شييم) ١٩٠٢م .

جوتهلف برجشتراسر (ت ١٩٣٣).

- المنحولات على جالينوس في شرح الأسابيع لبقراط، بترجمة حنين بن إسحق ١٩١٤م .
- رسالة حنين بن إسحق في الترجمات السريانية والعربية لكتب جالينوس ١٩٢٥م .
- كتاب اللامات لأحمد بن فارس الرازي ١٩٢٦ .
- القراءات الشاذة في القرآن لابن خالويه ١٩٢٩ .
- طبقات القراء لابن الجزري ١٩٢٩ .

كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦).

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ١٨١٩ .
- تلقيح فهوم الأثر في مختصر الأخبار والسير، لابن الجوزي ١٨٩٢ .
- عيون الأخبار لابن قتيبة، ج١، ط١٩٠٠، وجـ ٢ ط ١٩٠٣، وجـ٣ ط١٩٠٦، وجـ٤ ط ١٩٠٨م .
- الجزء الثامن من الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٠٤م .

فريدريش ديتريصي (ت ١٩٠٣) [أقرأ ديتريصي]

- ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل ١٨٥١م .
- شرح ديوان المتنبي للواحدي ١٨٥٨ - ١٨٦١م .
- مختارات من رسائل إخوان الصفا ١٨٨٣م .
- مجموعة من رسائل الفارابي ١٨٩٠ - ١٨٩٢م .
- آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ١٨٩٥م .

هاينريش ليبريشت فلايشر (ت١٨٨٨)

- تفسير البيضاوي للقرآن الكريم ١٨٤٦ - ١٨٤٨م .

جوستاف فليجل (ت١٨٧٠) [اقرأ فلوجل]

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (٧مج) ١٨٣٥م

- التعريفات للشريف الجرجاني، وألحق به رسالة صغيرة في تعريف الاصطلاحات لمحيي الدين بن عربي ١٨٤٥م .

- تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا ١٨٦٢م .

- الفهرست للنديم ١٨٧١ - ١٨٧٢م .

رودلف جاير (ت١٩٢٩)

- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ثم ألحق به أشعار الأعشَيْن الآخرين ١٩٠٥ - ١٩١٩م .

- كتاب الوحوش للأصمعي ١٩٠٨م .

جولدتسيهر (ت١٩٠٦) [مجري الأصل]

- ديوان الحطيئة بشرح السكري ١٨٩٣ .

- كتاب المعمّرين للسجستاني ١٨٩٩ .

جوزيف فون هامر بورجشتال (ت١٨٥٦) [نمساوي]

- حقق مقامات الزمخشري المسماة: أطواق الذهب ١٨٣٥ .

جوزيف هل (ت١٩٥٠)

- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ١٩١٦م .

- دواوين الشعراء الهذليين (في مجلدين) ١٩٢٦، ١٩٣٣م .

يوهان جوتفريد لودفيج كوزجارتن (ت١٨٦٢)

- رحلة ابن بطوطة ١٨١٨م .

- معلقة عمرو بن كلثوم بشرح الزوزني ١٨١٩م .

- تاريخ الطبري (٤ج) ١٨٣١ - ١٨٥٣ .
- الجزء الأول من أشعار الهذليين ١٨٣٤م .
- الأغاني للأصفهاني (الجزء الأول) ١٨٤٠م .

فريتز كرنكو (ت ١٩٥٣م) [ألماني اكتسب الجنسية الإنجليزية] (اقرأ فريتس)

- الأصمعيات، بشرح ابن السكيت ١٩٠٧م .
- قصيدة كعب بن زهير وشرحها للتبريزي ١٣٦٣هـ .
- جمهرة اللغة لابن دريد بالاشتراك مع محمد إبراهيم السورتي ١٣٤١ - ١٣٤٤هـ (٤ مج) .
- أخبار النحويين البصريين للسيرافي ١٩٣٥م .
- المعاني الكبير لابن قتيبة ١٩٣٥م .
- كتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لابن هشام، عن وهب بن منبه، وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شرية عن الأمم البائدة .
- معجم الشعراء للمرزباني ١٣٤٥هـ .
- المؤتلف والمختلف للآمدي ١٣٥٤هـ .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني .
- الأمالي لليزيدي .
- الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني .
- المنتظم لابن الجوزي .
- كتاب الأفعال لابن القطّاع .
- كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .
- وحقق الدواوين الآتية: النعمان بن بشير الأنصاري، مزاحم العقيلي، طفيل بن عوف الغَنَوي، الطرمّاح بن حكيم الطائي .

اوجست ميللر [اقرا] موللر (امرؤ القيس بن الطحان) (ت ١٨٩٢)

- حقق كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، لكنه تركه لناشر مصري أسقط منه كل التعليقات على الكتاب مفسداً التحقيق، فقام ميللر بنشر التعليقات والتصويبات التي استغرقت أكثر من مائتي صفحة في كينجز برج ١٨٨٤م .

إدوارد بوكوك (ت ١٦٩١م)

- لامية العجم للطغرائي ١٦٦١م .
- تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج بن العبري ١٦٦٣م .
- فصول من شرح موسى بن ميمون على المشنا ١٦٥٥م .

يوهان جاكوب رايسكه (ت ١٧٧٤)

- معلقة طرفة بن العبد مع شرح النحاس ١٧٤٢م .
- رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس ١٧٥٥م .

هلموت ريتر (ت ١٩٧١)

- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١٩٢٩ - ١٩٣٣م .
- الجزء الأول من الوافي بالوفيات للصفدي ١٩٣١م - نشر ضمن النشريات الإسلامية واستمر إصدارها حتى وصلت إلى ج٢٧، اشترك في تحقيقها ألمان وعرب، ضمن هذه النشريات .
- من أناب إلى الله، للحارث المحاسبي ١٩٣٥م .
- السوانح لأحمد الغزالي ١٩٤٢م .
- الكراجوز، نشر وترجمة وشرح ١٩٤١، ١٩٥٣م .
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ١٩٥٤م .
- مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب لابن الدباغ ١٩٥٩م.
- كيمياء السعادة لأبي حامد الغزالي ١٩٥٩م .
- فرق الشيعة للنوبختي ١٩٣١م .

- رسالة في دفع الأحزان للكندي بالاشتراك مع فالتسر ١٩٣٨م.

- يوليوس ليبرت (ت ١٩١١م)

- المنتخب في علاج أمراض العين للموصلي ١٩٠٢م.

- رسالة في العين من كتاب القانون لابن سينا بمعاونة هيرشبرج ١٩٠٢م.

- تاريخ الحكماء للقفطي ١٩٠٣م.

جوزيف شاخت (ت ١٩٦٩)

- كتاب الحيل والمخارج للخصّاف ١٩٢٣م.

- كتاب الحيل لأبي حاتم القزويني ١٩٢٤م.

- كتاب الشُفعة للطحاوي ١٩٢٩م.

- كتاب المخارج في الحيل للشيباني ١٩٣٠م.

- رسالة جالينوس في الأسماء الطبية بترجمة حنين بن إسحق ١٩٣١م.

- اختلاف الفقهاء لأبي جعفر الطبري ١٩٣٣م.

- خمس رسائل لابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري ١٩٣٧م.

- الرسالة الكاملية لابن النفيس ١٩٦٨م.

- كتاب التوحيد للماتريدي ١٩٦٨م.

فريدريش شولتس (ت ١٩٢٢) [سويسري]

- ديوان حاتم بن عبد الله الطائي ١٨٩٧م.

- ما تبقى من شعر منسوب إلى أمية بن أبي الصلت ١٩١١م.

الويز شبرنجر (ت ١٨٩٣م)

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٨٤١ – ١٨٤٦م.

- فهرس كتب الشيعة للطوسي ١٨٥٣ – ١٨٥٥م.

هاينريش توربكه (ت١٨٩٠م)

- ديوان عنترة بن شداد العبسى ١٨٦٧م .

- شارك في إخراج السلسلة الثانية من تاريخ الطبري، ص ١-٢٩٥ [١٨٨١] .

يوهان اوجست فوللرز (ت١٨٨٠)

-معلقة الحارث بن حلّزة بشرح الزوزني، مع قصيدتين لأبي العلاء المعري ١٨٢٧م .

- معلقة طرفة بن العبد بشرح الزوزني، مع إضافة مختارات من تعليقات رايسكه ١٨٢٧م .

يوليوس فلهاوزن (١٩١٨)

- كتاب المغازي للواقدي ١٩٨٢م .

- كتاب الأصنام لابن الكلبي ١٨٨٧ ثم ط ثانية ١٨٩٧م .

فرانز فيبكه (ت ١٨٦٤)

- حقق النص العربي لكتاب «جبر عمر الخيام» ١٨٥١م .

هاينريش فرديناند فيستنفلد (ت١٨٩٩م)

- طبقات الحفاظ للذهبي (٣مج) ١٨٣٣م .

- اللباب في تهذيب الأنساب للسمعاني ١٨٣٥م .

- أقسام من وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨٥٠م .

- تهذيب الأسماء واللغويات للنووي (٢مج) ١٨٤٢ - ١٨٤٧م .

- تاريخ الأقباط (مستخرج من خطط المقريزي) ١٨٤٥م .

- البيان والإعراب عمّا في أرض مصر من الأعراب، للمقريزي، ٣ ج ط١٨٤٥ - ١٨٥٧م .

- المشترك وضعًا والمختلف صقعًا لياقوت الحموي ١٨٤٦م .

- عجائب المخلوقات، وآثار البلاد، للقزويني ١٨٤٨ - ١٨٤٩م .

- كتاب المعارف لابن قتيبة ١٨٥٠م .

- رسالة محمد بن حبيب عن اتفاق أسماء القبائل العربية وافتراقها ١٨٥٠م .

- كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدي ١٨٥٤م .

- السيرة النبوية لابن إسحق برواية عبد الملك بن هشام (٢مج) ١٨٥٧ - ١٨٦٠م .

- حقق أخبار مكة (نصوص عربية في ٤ مجلدات) ١٨٧٥ - ١٨٦١م .

أ- تاريخ مكة والبيت الحرام لقطب الدين . ب - أخبار مكة للأزرقي وابنه واستأنفها إسحق الخزامي، وأكملها ابن أخيه. جـ- نصوص للفاكهي وابن ظُهيرة . د- ترجمة ألمانية للمجلدات الثلاثة الأولى .

- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهرواني ١٨٥٧م .

- ديوان علقمة الفحل ١٨٥٨م .

- المدينة للسمهودي ١٨٦٤م .

- معجم البلدان لياقوت، بمعاونة فرايناج (٦مج) ١٨٦٦ - ١٨٧٣م .

- معجم ما استعجم للبكري ١٨٧٦م .

- الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني، بالاشتراك مع زاخاو ١٨٧٦م .

- جغرافية مصر، عن القلقشندي .

أوتو برتزل (ت١٩٤١)

١ - التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني ١٩٣٠م .

٢ - كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب النَقط، للداني أيضًا ١٩٣٠م .

ooo

الصحاح: هل اقتصر على الصحاح؟

الصحاح: هل اقتصر على الصحاح؟

هناك أوهام منتشرة بين اللغويين العرب المحدثين موروثة من بعض القدماء، أخذوها بالتسليم. ومن هذه الأوهام أن معجم (تاج اللغة وصحاح العربية)[1] لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٤٠٠هـ) أول معجم عربي اقتصر على (الصحاح)، بل إنه المعجم الوحيد الذي فعل ذلك .

وسنقتصر في بحثنا على مناقشة هذه القضية، معتمدين في بيان حقيقة الوهم على (الصحاح) نفسه لا على أقوال فلان وفلان وإن جلّت منزلتهم العلمية .

نبدأ فنقول: إن مصدر هذا الوهم يعود إلى الجوهري نفسه الذي يقول في مقدمة الصحاح: «فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة... بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية، ومشافهتيّ بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية. ولم آلُ في ذلك نصحًا ولا ادخرت وسعًا»[2] .

وقبل أن ننظر في التزام الجوهري بما قاله، نتساءل: هل هناك من أصحاب المعاجم من ادعى أن كتابه سيضم (غير الصحيح)؟ والجواب بالنفي. بل الأمر على العكس من ذلك، فهناك من سبق الجوهري في هذا الزعم، فها هو الأزهري (ت٣٧٠) يقول عن كتابه: «وقد سميت كتابي هذا (تهذيب اللغة) لأني قصدت بما جمعت فيه، نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغُتم عن سننها، فهذبت ما جمعت في

---

(١) سنعتمد الطبعة الثالثة، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م

(٢) الجوهري: الصحاح ص ٣٣ .

كتابي من التصحيف والخطأ، بقدر علمي. ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب»[1].
ومع هذا التصريح من الأزهري - الذي لا يختلف عن تصريح الجوهري إلا في حدة لهجته - فإن أحداً من الباحثين لم يحكم على معجمه حكمه على الجوهري وكتابه. فهنا ازدواج في النظر إلى أمر واحد لدى شخصين أو مجموعة أشخاص.

فها هو السيوطي في معرض الحديث عن المعاجم التي سبقت الجوهري زمنيًا يقابل بينها وبين الصحاح قائلاً: «وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح، بل جمعوا ما صح وغيره، وينبهون على ما لم يثبت غالبًا. وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري»[2] ولم يكتف السيوطي بهذا الحكم، بل زاد فقال إنه «في تاريخ اللغة نظير صحيح البخاري في كتب الحديث. وليس المدار في الاعتماد على كثرة الجمع، بل على شرط الصحة»[3].

وقد توفر العلامة حسين نصار على دراسة المعاجم العربية - والصحاح منها- وكانت أحكامه متناقضة، ونحن ننقل عبارته على طولها حتى يتبين الأمر. قال: «الجوهري ليس أول من التزم الصحيح، بل التزمه قبله القالي والأزهري، كما التزمه معاصره ابن فارس، وشعر بذلك السيوطي. ولكن هناك فرقًا بين الصحاح وغيره، يبين من عبارة السيوطي، فهو يرى أنه التزم الصحيح

(١) الأزهري: تهذيب اللغة ج١ / ٥٤ (تح عبد السلام محمد هارون)، القاهرة: المؤسسة العامة للتأليف والنشر ٦٤ - ١٩٦٩م.

(٢) السيوطي: المزهر ١ / ٩٧ (تح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم) القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي ١٩٨٥م.

(٣) السيوطي: المزهر ١ / ١٠١، وبمثل ذلك يقول عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، عمان: دار صفاء ١٩٩٩م، ص ٣٠٦، ومثله في: سعيد حسن بحيري: المدخل إلى مصادر اللغة العربية، القاهرة: مؤسسة المختار ٢٠٠٤م، ص ٢٩١.

واقتصر عليه فلم يذكر سواه، أما هذه المعاجم فلم تقتصر عليه، بل ذكرت غير الصحيح ونقدته. وقد رأينا ذلك فيها فالتزامها الصحيح يعني نقدها غيره وتزييفه. وكانت الدعائم التي أقام عليها الجوهري نقده للألفاظ السماع والفهم... ولم يفسر الجوهري في مقدمته القصيرة الكلام على هذه الدعائم، ولكن من الواضح أنها قريبة الشبه بدعائم الأزهري»[1] .

ونحن نوافقه على ما ذهب إليه من وجود سابقين على الجوهري التزموا الصحيح، ولا نوافقه على أن الصحاح اقتصر على الصحيح فقط، فهو لم يقتصر عليه، مثله في ذلك مثل المعاجم التي سبقته في الزمن أو كانت متأخرة عنه .

ثم يمضي العلامة حسين نصار فيزعم أن من الأمور التي دفعت المؤلف إلى الاختصار التزامه الصحيح من الألفاظ، وأنه في ذلك مثل معاصريه إلا أنه لم يجرح اللغويين كما فعل الأزهري![2] فالفرق إذًا حدّة في لهجة الأزهري ولطف في لهجة الجوهري. أي ليس هناك فرق حقيقي بينهما .

ويمضي حسين نصار في الحديث عن الصحاح قائلاً: «ولم يمنعه التزامه الصحيح من العناية بالمعرب من الألفاظ... والأمر الغريب، وإن تلاءم مع كونه تركيًا، شرحه بعض الألفاظ العربية بأخرى فارسية... ولم تمنعه الصحة أيضًا من إيراد الألفاظ الإسلامية والمولدة مع التنبيه عليها»[3] .

ونحن نقول: أبعد ذلك يجوز القول بأنه اقتصر على الصحاح وحدها؟ نعم جاز ذلك لدى الباحث الفاضل؛ فعند ذكره خصائص (مدرسة الصحاح) وعيوبها، يقول عن الصحاح: «وتفترق فيما عدا ذلك إذ يلتزم الصحاح الألفاظ الصحيحة وحدها!»[4] ومثل هذا التناقض نراه عند محقق الصحاح، فهو يزعم

---

(١) حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، القاهرة: مكتبة مصر ١٩٦٨م، ص ٤٨٥ .

(٢) حسين نصار: المعجم العربي، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٣) حسين نصار: المعجم العربي، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٤) المعجم العربي، ص ٦٨٦ .

أن الجوهري «إنما أراد أن يقدم معجمًا، فقدم أصح معجم عربي خطا بالتأليف المعجمي أوسع خطوة عرفها تاريخ المعجمات العربية»[1] ، وسنرى من المحقق فيما بعد أحكامًا تنقض هذا الحكم. ويعلل المحقق قلة مواد (الصحاح) بأن الجوهري «قد أغفل مواد كثيرة تعد من (تاج اللغة وصحاح العربية)، ولو لم يغفلها التزامًا للصحيح وطرحًا لما ظنه غير صحيح لقدم لنا ثروة لغوية ضخمة»[2] .

ويستمر هذا الوهم عند الباحثين، فنجد باحثًا يقول: «ولئن كان همّ أصحاب المعجمات قبله إحصاء مفردات اللغة وتجميعها، كل قدر طاقته وعلمه مع اهتمام بالنادر الغريب، وبعضهم الآخر بالجمهور من كلام العرب، فإن همّ الجوهري انحصر في جمع الصحيح منها، إذ رأى أن العربية داخلها مع الزمن ما ليس منها، بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، إلى درجة جعلت الصحيح يشتبه بغيره. وهكذا كان همّ الجوهري يتجه نحو جمع ما صح له سماعه من ألفاظ اللغة العربية»[3] كما نجد باحثًا بارزًا في مجال المعاجم العربية يقول: «إن نزعة الصحاح إلى البحث عن الصحيح نزعة انكماشية في العربية...»[4] .

ويزيد بعض الباحثين نغمة في العزف على طنبور الصحاح فيقول: «بيد أن العجمة التي كانت تظهر على استحياء أحيانًا إلى عهد سيبويه أصبحت تظهر

(١) مقدمة محقق الصحاح، ص ٥ .

(٢) مقدمة محقق الصحاح، ص ٣٥ . وتقبل هذا الرأي بالتسليم: محمد ضاري حمادي: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، بغداد: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ١٩٨٥م، ص ١٤٢ .

(٣) عبد اللطيف الصوفي: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دمشق: دار طلاس ١٩٨٦م، ص ١٦٦ .

وانظر مثل ذلك عند: عزة حسن: المكتبة العربية، دراسة لأمهات الكتب في الثقافة العربية، دمشق ١٩٧٠، ص ١٨٥ وعز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٦م، ص ٣٦٥ . وحاتم صالح الضامن: علم اللغة، جامعة بغداد ١٩٨٩م، ص ٨٥ .

(٤) محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم قديمًا وحديثًا، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦م، ص ٥٣ .

كثيراً بغير حياء، وأصبح النحاة واللغويون في القرن الرابع الهجري وكل غاياتهم المحافظة على العربية، وتسجيل فصيحها القديم وتنقيته مما شابه من اللحن والعجمة، وفي هذا الإطار نفهم موقف الجوهري... حين اقتصر في معجمه على الصحيح الفصيح»[1] .

وإذا كنا قد رأينا أن الجوهري ليس أول من زعم التزام العربي الصحيح الفصيح، بل شاركه في هذا الزعم غيره من سابقيه ولاحقيه، وإن لم توصف أعمالهم بصفة الجوهري، فإننا سندلل على أن الجوهري، لم يجمع (الصحيح) فقط، بل جمع معه أشياء أخرى. ونبدأ فنقرر أن الجوهري جمع من كتب الخليل وابن دريد والأزهري وغيرهم كثيراً من الألفاظ بالترتيب الخاص الذي ارتضاه (منهج الباب والفصل) وبالتقسيم الداخلي الذي رآه. كما جمع ألفاظًا قليلة من البدو الذين عاصرهم[2] وهذا يعني أنه التزم زمنيًا في جمع الألفاظ ومعانيها، الألفاظ المستخدمة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام والعصر الأموي، وجزءاً من الشعر العباسي حتى منتصف القرن الثاني الهجري، بغض النظر عن قبيلة الشاعر مطلقًا. وهذا هو النطاق الزمني الذي ارتضاه علماء العربية القدماء للغة الأدبية كما يتمثل في أعمالهم اللغوية المختلفة. ومع ذلك فقد خرج الجوهري في الصحاح على هذا النطاق الزمني للاستشهاد بالشعر الفصيح، ذلك أنه استشهد:

أ- ببيت لربيعة الرقي (ت١٩٨هـ) وذكر أنه مولّد وليس بحجة، وأن الحجة قول الأعشى (شنت٢٥٥هـ) ، وما كان أغناه عن ذلك .

ب- وبشعر الحسين بن مطير الأسدي (ت١٧٠هـ)، (ملع ١٢٨٧) .

---

(١) محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٠، ص ٧٢ . وانظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠١م ص ١٣٤ .

(٢) الصحاح، مواد (صدد ٢٩٦) و(نخس ٩٨٢) و(كرم ٢٠٢١)، وسنلتزم ذكر رقم الصفحة أمام المادة، تسهيلاً لمن أراد المراجعة .

جـ- وبشعر أبي العطاء السندي (ت١٨٠هـ)، (حبب ١٠٦)، و(أتم ١٨٥٧) .

د- وبشعر أبي نواس (ت١٩٥هـ)، (يا يا ٨٥) .

هـ- وبشعر كلثوم بن عمرو العتابي (ت٢٠٨هـ)، (برد ٤٤٦).

و- وبشعر بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ)، (ربح ٣٦٣).

ز- وبشعر أبي تمام الطائي (ت٢٣١)، (مضر ٨١٨).

وهذا أكثر مما ورد عند من سبق الجوهري كأبي عبيدة، وابن قتيبة، والمبرد، وثعلب، وابن دريد، وابن الأنباري، والفارابي، والخطابي[1] .

أما النطاق المكاني للغة الحياة اليومية، فكان مقصوراً على قبائل بعينها، هي: تميم وقيس وأسد وهذيل وبعض طيئ وبعض كنانة[2] . أما ما نقل عن غير هذه القبائل حصراً، فليس من الصحيح الفصيح .

ولذلك تعرض ابن دريد (ت٣٢١هـ) لحملة شعواء من صاحب تهذيب اللغة، بسبب اهتمامه بالألفاظ اليمنية. وإن كان موقف ابن دريد - في رأيي- أكثر علمية من غيره، ذلك أنه يذكر اللفظ ويذكر أنه لغة يمانية أو لغة لأهل اليمن، أو لغة حمير، أو لغة شنعاء لقبيلة كذا من اليمن، أو لغة مرغوب عنها لقبيلة كذا. ولم يدلس فيخفي مصادر هذه الألفاظ ومعانيها. أما الجوهري الذي زعم التزام (الصحيح) دون غيره فكان ينقل عن ابن دريد ألفاظًا يمانية، لا يذكر أنها يمانية. ومن يقرأ ذلك يظنها من الألفاظ الفصيحة العامة وليست مقصورة على قوم دون غيرهم. فمن ذلك:

القِلّيب والقلوب بمعنى الذئب[3] .

---

(١) انظر: محمد حسن حسن جبل: الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء متون من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٦م، ص ٦٠ - ٦٧ .

(٢) السيوطي: المزهر ١ / ٢١١-٢١٢ .

(٣) الصحاح (قلب ٢٠٥) وقارن بـ: ابن دريد: جمهرة اللغة، تح محمد يوسف السورتي، وفريتس كرنكو، حيدرآباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ جـ١ / ٣٧٥ .

الهوب بمعنى وهج النار[١] .

★ الرُّبَّاح بمعنى القرد الذكر[٢] .

وقد يذكر الجوهري أن هذا اللفظ أو ذاك بلغة اليمن أو حمير، لكن دون أن ينص على مصدره وهو ابن دريد، ومن ذلك:

الوثب بمعنى الجلوس[٣] .

الكُسعوم بمعنى الحمار[٤] .

الرِّيم بمعنى الدرجة[٥] ، وهناك مواضع أخرى[٦] .

ومن الغريب أن الجوهري - في غير الألفاظ اليمنية - يذكر نقوله عن ابن دريد دون أن ينكر عليه شيئًا[٧] ، باستثناء موضع واحد، قال فيه: «ذكر ابن دريد أن القرزوم بالقاف مضمومة: لوح الإسكاف المدوَّر، وتشبه به كِركِرة البعير، وهو بالفاء أعلى»[٨] .

وهكذا رأينا اختراق الصحاح للنطاقين الزماني والمكاني لما يعد فصيحًا عند القدماء. ويتعلق بذلك أن علماء العربية عدوا المعاني التي تجاوزت نطاق منتصف القرن الثاني الهجري (مولَّدة) لا (فصيحة).

---

(١) الصحاح (هوب ٢٣٩) وقارن بالجمهرة جـ١ / ٣٣٢ .

(٢) الصحاح (ربح ٣٦٣) وقارن بالجمهرة جـ١ / ٩٨ .

(٣) الصحاح (وثب ٢٣١) وقارن بالجمهرة جـ١ / ٢٠٥ وجـ٣ / ١٩٩ .

(٤) الصحاح (كسع ١٢٧٦)، وقارن بالجمهرة جـ٣ / ٣٤٣ .

(٥) الصحاح (ريم ١٩٤٠) وقارن بالجمهرة جـ٣ / ٤٦ .

(٦) انظر: الصحاح (زيب)، و(شتر ٦٩٣)، و(صنر ٧١٦)، و(بلس ٩٠٩)، و(فنك ١٦٠٢)، و(سها ٢٣٨٦)

(٧) انظر: الصحاح (قضب ٢٠٤)، و(قبقب ٢٠٤)، و(قعد ٢٥٧)، و(ريس ٩٣٣)، و(مغص ١٠٥٧)، و(نتق ١٥٤٥)، و(حسك ١٥٨٠)، و(بدل ١٦٣٢)، و(حمل ١٦٧٦) و(سحل ١٧٢٧)، و(زقم ١٩٤٣)، و(ضغم ١٩٧٢)، و(فقم ٢٠٠٣)، و(نوم ٢٠٠٥) ، و(وضم ٢٠٥٢)، و(سفن ٢١٣٦)، و(هون ٢٢١٨)، و(ربا ٢٣٥٠)، و(زها ٢٣٧٠)، و(قعا ٢٤٦٥)، و(نقا ٢٤٩٥) .

(٨) الصحاح (قرزم ٢٠١٠) .

وفي هذا الجانب نجد كثيراً من (المولد) الذي نص عليه، وكان عليه - تطبيقًا لالتزامه الصحيح وحده- ألاَّ يذكرها، أو إن شاء أن يفرد لها تأليفًا مستقلاً، فمن ذلك:

(عجج ٣٢٧): العُجَّة بالضم، هذا الطعام الذي يتخذ من البيض، أظنه مولداً .

(جدد ٤٥٤): جديدة السرج: ما تحت الدفتين من الرِّفادة واللِبد الملزَق. وهما جديدتان. وهو مولد .

(فسر ٧٨١): الفسر: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة. وأظنه مولداً .

(قزز ٨٩١): أما القافُزَّة فمولدة .

(صفع ١٢٤٣) : الصفع كلمة مولدة، والرجل صفعان .

(قصف ١٤١٦): القصف: اللهو واللعب يقال: إنها مولدة .

وفي الصحاح (مولد) غير ذلك[1] .

ويرتبط بعدم اكتفاء الجوهري بالصحيح وحده أنه نقل كثيراً من الاستخدامات العامية؛ ونص على ذلك. والفرق بين العامي والمولَّد عنده - كما يظهر من استقراء مواضع ورودهما - أن المولَّد متعلق بدلالة جديدة للألفاظ لا يعرفها العرب الفصحاء. أما العامي فمتعلق بتغيير العامة لبنية الألفاظ بتبديل حركة، أو حرف، أو وزن. هذا في الغالب .

ونراه في بعض المواد يفسر اللفظ بتسمية العامة. ومن ذلك:

(حلب ١١٦): والحلبلاب بالكسر: النبت الذي تسميه العامة: اللبلاب .

(قرب ٢٠٠): هو قريبي وذو قرابتي، وهم أقربائي وأقرابي. والعامة تقول: هو قرابتي وهم قراباتي .

---

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر الصحاح (قعب ١٩٨)، و(شنت ٢٥٥)، و(بحر ٥٨٦)، و(طنز ٨٨٣)، و(جمس ٩١٤)، و(طرش ١٠٠٩)، و(عفص ١٠٤٥)، و(سرم ١٩٤٩)، و(لبن ٢١٩٢) .

(بيت ٢٤٤): البيت معروف... وتصغيره بييت... والعامة تقول: بويت. وكذلك القول في تصغير شيخ وعير وشيء وأشباهها.

(سلح ٣٧٦) سيلحون قرية والعامة تقول: سالحون .

(لخخ ٤٣٠): سكران مُلْتَخٌّ، أي مختلط عقله. والعامة تقول: مُلَطَّخ .

(زيد ٤٨٢): أفعل ذلك زيادة والعامة تقول: زائدة .

(صفرد ٤٩٨): الصُّفرد: طائر تسميه العامة أبا المليح .

(أجر ٥٨٦): آجرته الدار: أكريته، والعامة تقول: واجرته .

(جنز ٨٧٠): الجِنازة واحدة الجنائز، والعامة تقول: الجَنازة بالفتح .

وفي الصحاح مواضع أخرى يذكر فيها (العامة) نحيل القارئ إلى بعضها[1] .

ويرتبط بذكر العامة في هذا المعجم المفترض أن يكون وقفًا على الصحيح كما زعم مؤلفه، أن الجوهري يذكر صيغًا ومعاني ينص على أنها (لغة رديئة) في مواضع كثيرة أيضًا يذكر الصيغة أو الجملة (الصحيحة) ويعقب بقوله: «ولا تقل...» أو «ليست فصيحة» أو «لا يقال» ومن ذلك:

(رزب ١٣٥): المِرزاب لغة في الميزاب، وليست بالفصيحة .

(توت ٢٤٥): التوت الفرصاد ولا تقل: التوث .

(ملح ٤٠٣): سمكٌ مليح ومملوح ولا يقال: مالح .

(شيخ ٤٥٢): وتصغير الشيخ شُيَيخ وشِييخ أيضًا بالكسر، ولا تقل شويخ .

(طرد ٥٠٢): طردته فذهب، ولا يقال منه: انفعل ولا افتعل إلا في لغة رديئة .

(كثر ٨٠٣): الكثرة نقيض القلة. ولا تقل الكِثرة بالكسر فإنها لغة رديئة .

(وعر ٨٤٦): جبل وَعْر بالتسكين، ومطلب وعر. قال الأصمعي: ولا تقل: وَعِر .

---

(١) الصحاح (عجز ٨٨٤)، و(أنس ٩٠٤)، و(جنس ٩١٥)، و(رصص ١٠٤١)، و(نصص ١٠٤٨)، و(مصص ١٠٥٧)، و(مغص ١٠٥٧)، و(قرع ١٢٦٢) ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

(درع ١٢٠٧): وربما قالوا: تمدرع، إذا لبس المدرعة، وهي لغة ضعيفة .

(وقف ١٤٤٠): وقفت الدار للمساكين وقفًا. وأوقفتها بالألف لغة رديئة.

ولمن أراد المزيد من هذه اللغات الرديئة، أو الألفاظ التي قال الجوهري: إنه لا يدري ما صحتها، نحيل إلى بعض المواضع[١] . ونلاحظ أنه قد يخطئ لغة فصيحة :

(أهل ١٦٢٩): فلان أهل لكذا، ولا تقل مستأهل، والعامة تقوله .

وهذا الذي نهى عنه فصيح؛ جاء في التهذيب (ت٣٧٠): «خطأ بعض الناس قول القائل: فلان يستأهل أن يكرم بمعنى يستحق الكرامة. قال: ولا يكون الاستيهال إلا من الإهالة. وأجاز ذلك كثير من أهل الأدب. وأما أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله لأني سمعته. وقد سمعت أعرابيًا فصيحًا من بني أسد يقول لرجل أولي كرامة: أنت تستأهل ما أوليت. وذلك بحضرة جماعة من الأعراب فما أنكروا قوله»[٢] .

وعلى العكس من تخطئة الفصيح قد يأتي بعامي على أنه فصيح، قال في (ذهب ١٣٠): «وقوله: (به مذهب) يعنون به الوسوسة في الماء وكثرة استعماله». وهذا استعمال عامي، فها هو التبريزي في شرح ديوان أبي تمام ينقل عن أبي العلاء المعري (ت٤٤٩): «وقوله: (أَمَذهبٌ أم مُذهَبٌ) يقول: أطريقة هو وخُلُقٌ أم مُذهب، من قول العامة: (بفلان مُذهَب) إذا كان يَلَجُّ بالشيء ويُغرى به. وأكثر ما يستعمل ذلك في الطهارة، يقال: بفلان مُذهَب إذا كان يتطهر ثم يظن أن طهارته لم تكمل فيعيدها. وذلك يعرض للقراء والمتنسكين كثيرًا»[٣] .

---

(١) الصحاح (جنذ ٥٦١) و(طرمذ ٥٦٦)، و(أزر ٥٧٨)، و(تيس ٩١١)، و(غلق ١٥٣٨)، و(نفق ١٥٦٠)، و(رجل ١٧٥٠) ، و(شول ١٧٤١)، و(فيل ١٧٩٤)، و(صمم ١٩٩٢)، و(لحم ٢٠٢٨)، و(عين ٢١٧٠)، و(قنن ٢١٥٨)، و(ألا ٢٢٧١)، و(أين ٢٢٨٧)، و(شلا ٢٣٩٥)، و(شوى ٢٣٩٩)، و(كلى ٢٤٧٥)، و(لعا ٢٤٨٤)، و(نسا ٢٥٠٨)، و(هجا ٢٥٣٣)، و(شفه ٢٢٣٧) .

(٢) الأزهري: تهذيب اللغة، ج٦ تح محمد خفاجي ومحمود عقدة، ص ٤١٨ .

(٣) الخطيب التبريزي: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، (تح محمد عبده عزام، ط٤، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٦م) ج١ / ١٢٩ .

وعلى كل حال ليس غرضنا بيان ما صححه وهو غير صحيح، ولا العكس.

وإذا كان الجوهري قد جمع مع الصحيح المولد والعامي واللغات الرديئة - باعترافه هو - فإنه جمع في مواد معجمه كثيراً من الألفاظ الدخيلة التي اقترضتها العربية من غيرها، ووسمها بالمُعَرَّب، وأشار أحيانًا إلى اللغة مصدر اللفظ. والقارئ المتتبع لمواضع (المعرب) يجدها كثيرة، لا قليلة كما يتبادر إلى ذهن من امتلأت نفسه بأسطورة (التزام الجوهري الصحاح وحدها). وهذه الكثرة تسوغ لنا القول بأنه يمكن استخراج كتاب كامل بالألفاظ المعربة منه. فأما ما نص على أنه معرب - ذاكراً مصدر المعرب أم غير ذاكر - فلسنا في حاجة للتمثيل له. ويكفي أن نشير إلى أحد المدافعين عنه بحق وبغير حق، يقول عنه: «وذكر مئات الكلمة المعربة، وأشار إلى الأسانيد في بعضها»[1] ولم يتنبه هذا المدافع إلى تناقضه عندما ذكر من قبل أنه أصح معجم عربي. فإذا كان (الصحاح) قد ضم مئات الكلمات المعربة، فماذا ترك من صحاح؟ ألم يكن الأجدر به أن يترك مهمة جمع المعربات لمعجم لا يلتزم الصحاح وحدها؟ أو لمعجم خاص يجمعها؟

والأمر هين من جهة الألفاظ التي ذكر أنها معربة، لكن هناك ألفاظًا لم ينص على تعريبها، وهي دخيلة باعتراف من سبقه من المؤلفين ومن تلاه زمنيًا. ومن ذلك:

الإيوان، نص على تعريبه ابن دريد والجواليقي ولسان العرب[2] .

الأبزار، نص على تعريبه الجواليقي[3] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار: (الصحاح ومدارس المعجمات، ط٢ بيروت ١٩٧٩م)، ص ١٦١ .

(٢) انظر: الجمهرة ١ / ١٩١، والمعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم تحـ ف. عبد الرحيم، دمشق: دار القلم ١٩٩٠م، ص ١١٣، ولسان العرب لابن منظور (ط دار المعارف، القاهرة ٧٩-١٩٨١م) (أون) ص ١٧٨ .

(٣) الجواليقي، ص ١١٤ .

البَرَنكان، نص على تعريبه الجواليقي[1] .

الخندريس، نص على تعريبه ابن دريد والجواليقي[2] .

الزيق، نص على تعريبه ابن دريد ولسان العرب[3] .

الكُركُم، نص على تعريبه الجواليقي[4] .

الفَدَّان، نص على تعريبه الجواليقي[5] .

وهناك معربّات غير هذه لم ينص الجوهري على كونها دخيلة، نشير إلى بعضها لمن شاء المقارنة[6] .

ولم يقف الجوهري في الإكثار من جمع الألفاظ الدخيلة عند هذا الحد، بل زاد فأخذ يفسر الألفاظ العربية بألفاظ فارسية! وكأنه معجم ثنائي اللغة. ومن ذلك:

(غرب ١٩٤): الغرب ضرب من الشجر، وهو اسفيدار بالفارسية .

(قضب ٢٠٣): والقضبة والقضب: الرطبة، وهي الاسفست بالفارسية .

(ققب ٢٠٤): القيقب والقيقبان: خشب تتخذ منه السروج، قال ابن دريد: هو بالفارسية آزاذدرَخْت .

(زمج ٣٢٠): الزُّمَّج مثال الخُرَّد: اسم طائر يقال له بالفارسية ده برادران .

(١) الجواليقي، ص ١٧٠ .

(٢) الجمهرة ٣ / ٣٣٠، ٤٠١، ٥٠١، والجواليقي ص ٢٠٧ .

(٣) الجمهرة ٣ / ١٥، ولسان العرب (زيق) ص ١٩٠١ .

(٤) الجواليقي ص ٥٥٣ .

(٥) الجواليقي ص ٤٧٦ .

(٦) قارن: الصحاح ص ١٠١٤، والجواليقي ص ١٢٠ .
الصحاح ص ١٨٧٠، والجواليقي ص ١٥٦ .
الصحاح ص ١٦١٩، والجواليقي ص ١٣٧ .
الصحاح ص ١٥٨٣، والجواليقي ص ٣١٤ .
الصحاح ص ١١٥٠، والجواليقي ص ٤٨٥ .

(سمهج ٣٢٣): سماهيج: جزيرة في البحر تدعى بالفارسية ماش ماهي فعرّبتها العرب .

(قعد ٥٢٥) أبو عبيدة: القَعود من الإبل: الذي يقتعده الراعي في كل حاجة. قال: وهو بالفارسية رَخت.

(دبر ٦٥٢) الدَّبرة والدِّبار: المَشارة في المزرعة، وهي بالفارسية كُرد.

(شجر ٦٩٣) الشِّجار، الخشبة التي توضع خلف الباب ويقال: هل بالفارسية مَتَرْس .

(عبهر ٧٣٥) العبهر بالفارسية بوستان أفروز .

(ثرط ١١١٧) الثَّرط: شيء يستعمله الأساكفة، وهو بالفارسية سِريش.

وفي الصحاح مثل ذلك كثير[١] .

وبعد أن وصلنا إلى هذه النقطة عجبًا لدى بعض الباحثين، حين يعيبون على الفيروزآبادي صاحب القاموس (ت٨١٧هـ) إكثاره من ذكر المولد من الألفاظ، والأعجمي؛ كما فعل الشدياق[٢] ، ورضوان[٣] . وهذه ليست عيوبًا عند محقق الصحاح الذي تنحصر (هنات الصحاح) عنده في تصحيف الألفاظ وتحريفها وسوء تفسير الجوهري لبعضها[٤] أما اعترافه بإكثاره من المعربات والمولد فلم تدخل في (الهنات). هذا من جهة (الإكثار). أما تفسير اللفظ العربي بمرادف فارسي فلم يعد عيبًا على الجوهري (الملتزم بالصحاح فقط) لكنه عيب على الفيروزآبادي .

---

(١) انظر على سبيل المثال في الصحاح: (فتزج ٣٣٦) و(فرفخ ٤٢٨)، و(جوز ٨٧١)، و(عنقز ٨٨٨)، و(دعكس ٩٢٩)، و(دمقس ٩٣١)، و(عرس ٩٤٨)، و(فرس ٩٥٨)، و(فصص ١٠٤٩)، و(تصص ١٠٥٢)، و(عرض ١٠٨٨)، و(سمط ١١٣٥)، و(شكع ١٢٣٨)، و(وكع ١٣٠٣)، و(بلغ ١٣١٧)، و(حرشف ١٣٤٣)، و(زرف ١٣٦٩)، و(تطف ١٤١٧)، و(دسق ١٤٧٤)، و(دعق ١٤٧٨)، و(زلق ١٤٩٢)

(٢) أحمد فارس الشدياق: الجاسوس على القاموس، استانبول: ط الجوائب ١٢٩٩هـ ص ١٣٢ .

(٣) محمد مصطفى رضوان: دراسات في القاموس المحيط، بيروت: مطابع الشروق ١٩٧٣م، ص ٣١٣ - ٣٢٤

(٤) أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات، ص ١٦٤ - ١٧٧ .

فها هو الشدياق في أكثر من موضع من (الجاسوس) ينتقده؛ لأنه يعرض الكلمة العربية من أسماء النبات أو الحيوان أو الجواهر ثم يذكر مرادفها الفارسي[1] . وها هو حسين نصار الذي أشار إلى هذه الظاهرة عند الجوهري ولم ير فيها تناقضًا مع التزامه بالصحيح[2] يتحدث عن الظاهرة نفسها عند الفيروزآبادي فيقول: «فلا تثريب عليه في ذكر الألفاظ المعربة والمولدة إذا فسّرها ونبّه على توليدها وتعريبها، ولكن لا حق له في ذكر المرادف الأعجمي للألفاظ العربية»[3] !! ويرى باحث آخر أنه في شرحه للألفاظ العربية بالفارسية «إنما يتوخى مبدأ الإيصال السريع»[4] .

ooo

ختام.

نخلص من كل ما سبق بأن الجوهري لم يقتصر في معجمه على (الصحاح) فقط بل جمع - مع الصحاح - المولّد، والعامّي، واللغات الرديئة، ودلّس في بعضها وعدّه فصيحًا، كما ضمّ مئات من الكلمات الأعجمية نص على عجمة بعضها، وبعضها لم ينص على عجمته. أضف إلى ذلك إلى أنه أكثر من تفسير اللفظ العربي بالأعجمي. وهو في الجانب الأخير يتفوق على الفيروزآبادي الذي رُمي - وحده - بهذه التهمة. وبحثنا ليس استئنافًا لحملة القاموس على الصحاح، فانتقاداته خارجة عن نطاق انتقاداتنا. إنما بحثنا كشف لأسطورة التزام الصحاح بالعربي الصحيح الفصيح وحده. نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا فيما رمناه، وهو ولي الهداية والتوفيق.

ooo

---

(1) الجاسوس، ص ١٠٨ ، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١ .

(2) حسين نصار: المعجم العربي ص ٤٩٨ .

(3) حسين نصار: المعجم العربي ص ٥٩٧ .

(4) عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص ٣٠٨ .

سطوة آراء السيوطي والبغدادي على آراء المحدثين في قضية الاستشهاد بالشعر القديم

سطوة آراء السيوطي والبغدادي على آراء المحدثين في قضية الاستشهاد بالشعر القديم

للعالم الموسوعي الجمّاعة جـلال الدين ~~جلال الدين~~ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) سطوة كبيرة على آراء الباحثين العرب المحدثين، سواء عن طريق النقل المباشـر من مؤلفيه: المزهر والاقـتراح، أو بواسطة عبد القـادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) في مقدمـة (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)، بل قد يكتـفي بعضهم بمن نقل عن البـغدادي. ونقول (سطوة كـبيرة)؛ لأن كثـيراً من علمائنا المحدثين يأخذونها أخذ المسلّمات فـيبنون عليها أحكامًا وقضايا، في حين أنهـا في حاجـة إلى فـحص في حـد ذاتها. هل ترى بحـثًا أو كتـابًا عن المعـاجم العربيـة، أو عن قضـايا الإبدال والمعرب والدخيل والـترادف والمشتـرك والأضداد والمذكر والمؤنث والأبنية، وغير ذلك من قضايا البحث اللغوي، يخلو من الرجوع إلى كتابي السيوطي والنقل عنه بالصـفحات؟ بل إن الكتب الدراسية التي حملت في عناوينها تركيب (فقه اللغة) أو (البـحث اللغوي) وما شابه ذلك عندما تتناول موضوعًا ما فإنها ترتب مسائله ترتيب السيوطي. إضافة إلى أن الآخر من الباحثين ينقل عمن سبقه، فالإبداع في هذه الكتب قليل جداً .

ويهمنا هنا القضـايا المتعلقة بالاستشـهاد بالشعر القديم على قـواعد النحو سواءً من حيث:

- القبائل التي احتج علماء العربية بلغتها .
- الشعراء المحتج بأشعارهم .
- انفراد الزمخشري باحتجاجه بأشعار المولّدين .

وسنكتفي هنا بمناقشة هذه القضايا لبيان هذه السطوة، لا على أننا سنأتي بالقول الفصل الذي جاءت به حَذَامِ، بل على أنه رأينا الذي نعتقده صوابًا .

(١)

كان الفيلسوف أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت٣٣٩هـ) - فيما نعتقد - أول من حاول التنظير لأعمال علماء العربية الأقدمين؛ ذلك أن النحاة واللغويين لم يكونوا يذكرون في مقدمات أعمالهم الأسس المنهجية والنظرية التي يسيرون عليها، سواء من حيث اختيار مادة الدراسة أو زمنها، أو إجراءات التحليل[١] . على أن الرواد من علماء العربية في القرن الثاني الهجري رأوا في القرآن الكريم والشعر القديم - على تفاوت أسلوبيهما وموضوعاتهما - لغةً معربةً واحدةً، وأحبّوا الحصول على مادة جديدة من لغة الحياة اليومية التي ما تزال معربةً، وتشبه ما في ذينك المصدرين، وبالتأكيد لا يمكن استقاء هذه المادة من سكان المدن، سواء التي أنشئت بعد الفتوح الإسلامية خارج الجزيرة العربية كالبصرة والكوفة وواسط وبغداد، أو كانت مسكونة من قبل كمكة والمدينة ودمشق؛ فالمدينة بطبعها تجمع سكاني يضم الأجناس المختلفة عربًا وغير عرب، وهؤلاء يتفاعلون بعضهم مع بعض في شتى مناحي الحياة، بحيث يكون صعبًا جداً أن يستخرج عالم العربية منهم مستوى لغويًا مطردًا يشبه ما في القرآن والشعر القديم. لذلك رأوا في لغة البدو - عامة - المادة الفصيحة الحية التي تشبه المثال اللغوي المنشود الذي يُدرَس ويُقَنَّن ثم بعد ذلك يمكن تعميمه .

ورأوا أن بُعد البدو النسبي عن الاختلاط بغيرهم هو الذي أبقى لغتهم سليمة. وبالطبع فإن القبائل البدوية أيام هؤلاء الرواد ليست على مستوى واحد

(١) أرجو ألا يفهم من ذلك خلو تحليلاتهم من التنظير. انظر: محمد عبد العزيز عبد الدايم: النظرية اللغوية في التراث العربي. القاهرة: دار السلام ٢٠٠٦م، ص ١٤-٨٤ على سبيل المثال .

من حيث الفصاحة؛ فبعضها من الناحية الجغرافية يجاور شعوبًا غير عربية من قديم، وبعضها نزح من موطنه الأصلي وسكن المدن وخالط أبناء لغات مختلفة. لذلك اقتصروا على قبائل بعينها رأوا لغتها سليمة .

فذكر الفارابي أن علماء العربية من أهل الكوفة والبصرة أخذوا «من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم، ومن أشدهم توحشًا وجفاءً وأبعدهم إذعانًا وانقيادًا، وهم: قيس وتميم وأسد وطيئ ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب. والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر»[1] .

وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) كعادته في إخفاء مصادره يذكر أن أفصح اللغات قريش لبعدهم عن العجم، «ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد. وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية»[2] .

أما نص السيوطي الذي لم يبق دارس إلا نقله فهو: «والذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أُخذ عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه،

---

(١) الفارابي: كتاب الحروف، تح محسن مهدي، بيروت: دار المشرق ١٤٧ . وأول من نقل نص الفارابي مباشرة المرحوم رمضان عبد التواب في كتابه: فصول في فقه العربية (ط٢)، القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٨٠م، هامش (٧١)، وعلق إن نص الفارابي مختصر جداً. ونقول: ربما تصرف فيه السيوطي بالشرح، وربما كان طويلاً في كتاب آخر للفارابي. ونجد حاتم الضامن: فقه اللغة، جامعة بغداد ١٩٩٠م، ص ١٩ ينقل جميع كلام عبد التواب عن الفارابي على أنه صاحبه!

(٢) مقدمة ابن خلدون، القاهرة، دار الشعب، ص ٥٢٣، وطبعة مؤسسة الأعلمي ببيروت ١٠٤٩ .

وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم؛ فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم؛ فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام... ولا من قُضاعة وغسان وإياد.. ولا من تغلب... ولا من بكر... ولا من عبد القيس وأزد عمان... ولا من أهل اليمن... ولا من ثقيف وأهل الطائف... ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم...»[1] .

وواضح من استقرائنا لما وصل إلينا من تراثنا اللغوي من أيام سيبويه حتى الصبّان أن هذه القائمة صحيحة تمامًا في جملتها، فهي تعني - كما أسلفنا - لغة الحياة اليومية أيام اللغويين الرواد. غير أن بعض الباحثين حين خلط بينها

---

(١) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي ١٩٥٨م جـ١ / ٢١١-٢١٢ ، والاقتراح في علم أصول النحو، تح أحمد محمد قاسم، القاهرة: ط السعادة ١٩٧٦، ص ٥٦ - ٥٧ . و(بعض من نقله كاملاً أو جزئيًا) حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره (ط٢) القاهرة: مكتبة مصر ١٩٦٨ ١ / ١٥ ، صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة (ط١٠) بيروت: العلم للملايين ١٩٨٣، ص ١١٢-١١٣، أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر (ط٧) القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٧م، ص ٥١-٥٢، وتمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية (ط٢) الدار البيضاء: دار الثقافة ١٩٨٠م ص ٢٧، ورمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ١٠٣-١٠٤، ومحمد عيد: الرواية والاستشهاد باللغة، القاهرة: عالم الكتب ١٩٧٦ ص ١٦٢-١٦٤، وسعيد الأفغاني: في أصول النحو، دمشق: دار الفكر ١٧-٢١، ورشيد العبيدي: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، جامعة بغداد ١٩٨٨ ص ١٥٤، وخالد عبد الكريم جمعة: شواهد الشعر في كتاب سيبويه (ط٢)، القاهرة: الدار الشرقية ١٩٨٩، ومحمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، بيروت: مكتبة الحياة ١٩٨٠ ص ٣٢، ٣٢٩، وأحمد محمد قدور: مدخل إلى فقه اللغة العربية (ط٢) دمشق: دار الفكر ١٩٩٣ ص ٧٣-٧٤، وعبد الحكيم راضي: النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي، القاهرة: دار الشايب ٢٥٣، ومسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، دمشق: وزارة الثقافة ١٩٨٢م، ص ٦٦ . ومحمود عثمان أبو سمرة: الدراسة الميدانية في منهج النحاة العرب، ماجستير - كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٢، وعبد الحميد أحمد حماد: منهج النحاة العرب من خلال كتاب الاقتراح للسيوطي، ماجستير - كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

وبين القائمة الشعرية - التي ستأتي - استنتج منها استنتاجات غير صحيحة في رأينا. فها هو عبد الحكيم راضي يقول: «الدليل على أن التقدم الزمني لم يكن مقصوداً لذاته أن اللغويين الذين أشيع عنهم - خطأ - حب القديم والعزوف عن الجديد رفضوا الاحتجاج بشعر قبائل بأكملها في الجاهلية»[١] .

ونرى أن هذا وهمٌ بدليل أنه لم يذكر أحداً من هؤلاء الرافضين ولا سمى هذه القبائل .

وبعض الباحثين آمن بقائمة الفارابي/ السيوطي، لكنه ظن أن هذه القائمة القبلية المكانية زمانيةٌ أيضًا تشمل الشعر القديم كله. فلمّا نظر في الشعر الذي استخدمه إمام النحاة سيبويه (ت١٨٠هـ) في بناء قواعد العربية الفصحى، وجد شعراءه من كل القبائل العربية وليس مقصوراً على قبائل القائمة[٢] . كما وجد أنه ينافي شرح السيوطي الذي عدّد القبائل المستبعدة من مجال الأخذ الميداني المباشر؛ فاستنتج من ذلك أن سيبويه خرج على هذه القائمة (الموضوعة بعده والمستنتجة من مجمل أعمال اللغويين الأوائل)؛ إذ أخذ من شعراء بكر وتغلب (٢٤ شاعراً) وشعراء عبد القيس (٤ شعراء)...إلخ، فالفارابي يذكر أنهم لم يأخذوا من قضاعة ونجد سيبويه يستشهد بشعر تسعة منهم، والفارابي يذكر أنهم[٣] لم يأخذوا من ثقيف وسيبويه يستشهد بأربعة منهم. وحاول أن يزيل التناقض الذي توهمه هو بأن علماء العربية «أخذوا أكثر اللغة عن قيس وتميم وأسد ولم يأخذوا عن غيرهم من القبائل. وهذا ما قاله أبو نصر في أول كلامه. قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، ولا عن تغلب.. ولا عن بكر.. ولا عن ثقيف... وهذا الزعم لا يتفق مع ما نراه في موقف سيبويه»[٤] .

(١) عبد الحكيم راضي: النقد العربي وشعر المحدثين، ص ٢٤٦ .

(٢) خالد عبد الكريم جمعة: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ص ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٩ .

(٣) خالد عبد الكريم ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٤) خالد عبد الكريم ٣٠١ .

ويحاول تفسير عبارة الفارابي بأن سيبويه وغيره أخذوا عن القبائل الست الشعر والنثر (يقصد لغة الحياة) ولم يأخذوا عن القبائل الأخرى إلا الشعر فحسب لانتشاره في جزيرة العرب كلها[1] .

ونرى أنه قارب الحقيقة في آخر كلامه؛ فلو أنه قال: (إن الشعر قبل منتصف القرن الثاني لا مكان له ولا قبيلة، وكله يحتج به) لأصاب كبد الحقيقة. ومما يؤيد قولنا أن هذه القائمة الفارابية استنتاج صحيح من مجمل أعمال علماء العربية، وأنها خاصة بلغة الحياة اليومية التي صادفوها حينذاك فنقلوها ودرسوها - قول الفارابي والسيوطي في آخر القائمة».. ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم»[2] .

والحقّ ما ذكره محمد عيد من أن منتصف القرن الثاني كان «مفترق الطريق بين عصرين لغويين متميزين: أحدهما هو ذلك المعاصر لمرحلة النشاط اللغوي هذه وواقعُه مشاهَد حاضر، تغير فيه المجتمع الحضري وتبدل، ودخله - من وجهة نظرهم - الخلل والفساد في اللغة. فوجّه العلماء جهودهم تبعًا لذلك لرواية اللغة عن هذا العصر الماضي، واعتبر كل ما ورد عنه ثقة يعتمد عليه في الاستشهاد، ورحل العلماء إلى البادية ملتمسين امتداد ذلك الماضي بين قبائل الأعراب الذين لم يمتد إليه التغيير الاجتماعي الهائل في الحضر فبقوا في موضع التوثيق والصحة والسلامة»[3] .

ويرى العلامة محمد حسن حسن جبل أن في كلام الفارابي عن النطاق القبلي المكاني «تعميمات غير دقيقة»[4] ، وأن الأساس العلمي ينقصها «من

---

(١) خالد عبد الكريم ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) الاقتراح ٥٧، والمزهر ٢١٢ .

(٣) محمد عيد: الرواية والاستشهاد باللغة ص ١٠٧ ، ١٤٩ .

(٤) محمد حسن حسن جبل: الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، القاهرة: الفكر العربي ١٩٨٦ ص ٧٧ .

حيث المنهج لعدم قيامها على استقراء علمي»[1] فراح يمثّل - دون استقصاء - لشعراء من القبائل المستبعدة لهم شواهد في (لسان العرب) الجامع للصحاح والتهذيب والمحكم والنهاية وتحقيقات ابن برّي[2] ، فمن قضاعة وعلة الجرمي له ستة أبيات وعبد الله بن العجلان النهدي وشقران مولى سلامان. ومن غسان عدي بن الرعلاء وعبد المسيح بن نفيلة والخرع بن سنان (ص١٠٦). ومن إياد الحارث بن دوس ولقيط بن يعمر وأبو داود. ومن تغلب الأخنس بن شهاب وأفنون. والأخطل الذي له أربعة أبيات وثلاثمائة بيت. ومن حنيفة... ومن ثقيف... (ص١٠٦). ثم مضى يمثل لشعراء الحواضر (ص١٠٧-١٠٨).

أبو دؤاد

ونرى أنه قد عنّى نفسه بسبب الخلط بين المكان والزمان، فتوهم التناقض في حين لا تناقض كما قدمنا .

(٢)

من أعمال علماء العربية نستنتج أن الشعر القديم زمنه واحد لا غير، هذا الزمن يمتد من الجاهلية حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريبًا، ولكن نقل السيوطي لفقرات من العمدة لابن رشيق (ت٤٥٦هـ) وهذا بدوره نقلها عن السابقين كابن سلام الجمحي (٢٣١هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) في سياق مختلف، جعل الباحثين المحدثين ينقلونها عن السيوطي والبغدادي على أنها من عمل اللغويين: «طبقات الشعراء أربع: جاهلي قديم، ومخضرم - وهو الذي أدرك الجاهلية والإسلام- وإسلامي، ومحدث. ثم صار المحدثون طبقات؛ أولى وثانية، على التدريج هكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا»[3] وفي موضع آخر ينقل عن العمدة «كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان

---

(١) الاحتجاج بالشعر ٩٩ .

(٢) نفسه ص ١٠٥ وسنذكر الصفحات في المتن تخفيفًا .

(٣) المزهر ٢ / ٤٨٩، وقارن بـ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن العشر وآدابه ونقده، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: ط السعادة ١٩٦٣ جـ١ / ١١٣ . الشعر

قبله. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته. يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين، قال الأصمعي: جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي»[1].

وقد جمع البغدادي ذلك كله فقال: «الكلام الذي يستشهد به نوعان: شعر وغيره. فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع: الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون. وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسّان.

الثالثة: المتقدمون - ويقال لهم: الإسلاميون - وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الرابعة: المولدون - ويقال لهم: المحدثون - وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس.

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعًا. وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها. وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق (...) يلحنون الفرزدق والكميت وأضرابهم (...) لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب. قال ابن رشيق في العمدة: كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه (...) وكان أبو عمرو يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا (...) قال الأصمعي: جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي.

وأما الرابعة: فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقًا....»[2]

---

(١) المزهر ٢ / ٤٨٨، وقارن بالعمدة ١ / ٩٠ وبحاشية ابن المنير على الكشاف جـ١ / ٢٢١

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب، تح عبد السلام محمد هارون (ط٢)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م جـ١ / ٥-٦ ونقله حرفيًا أو يكاد: محمود شكري الألوسي إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد، تح عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد: وزارة الأوقاف ١٩٨٢، ص ٦٤-٦٩، وسيأتي مثل ذلك عند أبناء القرن العشرين الميلادي.

تقسيم الشعراء إلى طبقات بدأه - فيما نعلم - محمد بن سلاّم الجمحي، عندما قسم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين، وقسم الفريقين إلى طبقات، ثم قسم شعراء آخرين إلى شعراء القرى، وشعراء المراثي. وكلاً وضع في طبقات، ثم سار المؤلفون على هذه السنة. غير أن المتأمل في الصياغة النهائية للبغدادي يجد أنه قد نقل كلام السابقين - ابن رشيق وابن قتيبة وغيرهم - من مجال الأدب إلى مجال الاحتجاج اللغوي وخلط بين الأمرين. وواقع الأمر - التأليف في النحو - أن الطبقة المحتج بأشعارها إنما هي طبقة زمنية واحدة تشمل الطبقات الأولى والثانية والثالثة عنده .

وفي جعلها أربع طبقات تكثر. وستحول جملة (قسمه العلماء) عند المحدثين إلى قسمه اللغويون، أو (قسم اللغويون الشعراء إلى أربع طبقات)[1]، ثم نقل كلام البغدادي برمته أو نقله مع الإشارة إلى ابن رشيق. بل سيأتي في رسائل جامعية (قسم النحاة الشعراء). ونحن نتحدى الجميع أن يأتونا بنحوي واحد قسم الشعراء هذه القسمة أو ذكر ذلك في صدر كتابه .

كما أن الأخبار التي دخلت ضمن الطبقات الثلاث الأولى، وكانت تتحدث عن رأي بعض العلماء الأفراد في شعر شاعر معين، جعلت كثيراً من المحدثين يعم حكم هذا العالم على جميع التراث النحوي واللغوي. والعجيب أن بعض هؤلاء ممن أفنى عمره في درس النحو القديم وتدريسه. وإليكم أمثلة:

ذهب المرحوم سعيد الأفغاني أن الأمر في الزمان التعويل على سلامة لغة المحتج به وعدم تطرق الفساد إليها. ولذلك نرى إسقاط اللغويين الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت، وعدي بن زيد العبادي، وحتى الأعشى عند

---

(١) انظر مثلاً: أحمد محمد قدور: مدخل ٧٦، ورمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ١٠١، وحاتم صالح الضامن: فقه اللغة ١٧ -١٨، وأحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ٤٦ -٤٨، ومسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية الفصحى ٥٩. ورجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠١ ص ١٤٩ .

بعضهم، لمخالطتهم الأجانب وتأثر لغتهم بهذه المخالطة، مع أن هؤلاء شعراء جاهليون [١] .

قال المرحوم عباس حسن (ت١٩٧٩م) إن العربي الأصيل عند اللغويين القدماء «قد يفقد أصالته اللغوية بسكنى الحضر وبمخالطة الأعاجم (...) وهذه العلة هي التي جرحوا بها بعض شعراء الجاهلية الأعلام، كعدي والأعشى ولم تأخذهم بهما وبأضرابهما رأفة»[٢] (!!).

نسي الدكتور محمد عيد كلامه (في ص ١٠٧ من كتابه) عن منتصف القرن الثاني الهجري، فقال: إن أحد عشر شاعراً من عصر الاحتجاج رفض العلماء «شعرهم ولم يسمحوا له بدخول مجال الدراسة»[٣] !! وهم عدي بن زيد العبادي وأمية بن أبي الصلت وأبو دُواد الإيادي وابن أحمر الباهلي والحطيئة(!) وابن الرقيّات والفرزدق وذو الرمة والكميت والقحيف العقيلي والطِرِمّاح.

رأى المرحوم مسعود بوبو (ت٢٠٠٠م) الإجماع على الطبقات الأربع مع تحفظ عن شعر أبي دُواد وأمية وعدي بن زيد، على أن إمام النحو سيبويه كان يستشهد بهؤلاء جميعًا خلافًا للأصمعي[٥] .

ونقول: إن سيبويه أقدم، وما فعله سار على دربه كل النحاة الخالفون، أما الأصمعي فمتى كان نحويًا أصلاً؟!

اضطرب الدكتور عبد الحكيم راضي[٥] ، وهو في صدد الدفاع عن نقاد شعر المحدثين في العصر العباسي، فركب كل ذلول وصعب ليفسر هجومهم

---

(١) سعيد الأفغاني: في أصول النحو ٢٥، وتبعه أحمد محمد قدور: مدخل ٧٦ .

(٢) عباس حسن: اللغة والنحو ١٢٨ .

(٣) محمد عيد: الرواية والاستشهاد ١٦٧-١١، وكرر ذلك في ٢٦٩ .

(٤) مسعود بوبو أثر الدخيل على العربية الفصحى ٦٠ - ٦٦، ونقل نفس الأقاويل عن عدي وأمية وذي الرمة .

(٥) عبد الحكيم راضي: النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي.

على الجديد ويسوغه لغويًا. وقد مرّ بنا قبل زعمه أن اللغويين (وهم النقاد أيضًا) رفضوا أشعار قبائل بأكملها في الجاهلية. فاتكأ على فكرة النقاد والبعد عن المؤثرات الأجنبية فقال:

(في ص ٧٦) هناك على الأقل ثلاثة شعراء هم: أمية بن أبي الصلت وهو جاهلي، والطرمّاح بن حكيم والكميت بن زيد وهم إسلاميان، ولم يستشهد اللغويون بأشعارهم، بل رفضوها كما رفضوا شعر عدي وأبي دآود (كرر المقولة في ص ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٩).

(في ص ٢٣٠) يفصل الاعتبارات المكانية للرفض؛ من السكنى في الريف ومخالطة أهل السواد والجرامقة، واعتبار ثقافي خاص باعتناق النصرانية أو قراءة كتب أهل الكتاب، وتعلم النحو (بالنسبة للكميت) وتعلم الكتابة عند ذي الرمة .

(في ص٢٣٥) يعلل بأن أصل الشاعر لا يؤثر إذا توفر له البيئة اللغوية النقية البعيدة عن كل المؤثرات الأجنبية (وكرر ذلك في ٢٣٦، ٢٣٧) .

نقل (ص ٢٣٠) عن الموشح عن أبي عمرو بن العلاء أنه رأى الطرمّاح بسواد الكوفة وهو يكتب ألفاظ النبط ليدخلها في شعره!

ولسنا في صدد رد هذه الأقوال قولاً قولاً، بل إننا نراها غير صحيحة البتة.

وماوقع فيه راضي وغيره إنما هو نتيجة سطوة أفكار السيوطي والبغدادي عليهم جميعًا. غير أننا سنتوقف عند الخبر الأخير الذي لا يعقل. فكيف يعمد شاعر عربي إلى كتابة ألفاظ أعجمية؟ الأصوب أن يكتب ألفاظًا عربية. ثم ألا يفترض في تمحيص الخبر الرجوع إلى ديوان الشاعر نفسه، للتفتيش عن هذه الألفاظ النبطية؟ لم يفعل ذلك أحد منهم. وقد ذكر محقق الديوان هذا الخبر المتناقَل ومحصه، فوجده محض هراء[1] . إذ ليس في الديوان ألفاظ نبطية إطلاقًا.

---

(١) ديوان الطرمّاح بن حكيم الطائي، تحقيق الدكتور عِزّة حسن، دمشق: المجمع العلمي العربي ١٩٦٨م - مقدمة المحقق .

وبعدما مرّ بنا من أقوال تجزم بإخراج بعض شعراء عصر الاحتجاج من الاحتجاج، لا نجد أفضل من كتاب سيبويه حكمًا في هذه القضية. وسنرجع إلى كتاب خالد عبد الكريم جمعة «شواهد الشعر في كتاب سيبويه» وأرقام الصفحات تشير إليه. ومن شاء التأكد من سيبويه نفسه فليقارن بينهما، وسيجد ما قاله ابن جمعة حقًّا:

لأمية بن أبي الصلت في كتاب سيبويه ثمانية شواهد. (ص٢٧٨).
لأبي دُواد الإيادي شاهد واحد (ص٢٩٠).
لعدي بن زيد العبادي ثمانية شواهد (ص٢٧٦).
للأعشى الكبير ميمون بن قيس خمسة وثلاثون شاهدًا (ص٢٨١-٢٨٢).
لعمرو بن أحمر الباهلي سبعة شواهد (ص٢٩٠).
للحطيئة سبعة شواهد (ص٢٨٥).
للطرمّاح بن حكيم ثلاثة شواهد (ص٢٩٤).
للكميت بن زيد سبعة شواهد (ص٢٨٤).
لذي الرمة ثمانية وعشرون شاهدًا (ص٢٨٨).
وللفرزدق ستة وخمسون شاهدًا (ص٢٧٧).
ولعبد الله بن قيس الرقيّات خمسة شواهد (ص٢٨٧).
وللقحيف العُقيلي شاهد واحد (ص٢٨٠).

وكتب النحو بعد سيبويه مطبوعة ومحققة ومفهرسة، والنظر في واحد منها يعزز كلامنا.

ثم ننظر في أكبر المعاجم العربية أعني (لسان العرب) لابن منظور فنجد فيه:[1]

٩٤ بيتًا في أكثر من ٩٠ موضعًا لأمية بن أبي الصلت (ص١٠٦).

---

(١) أرقام الصفحات لكتاب محمد حسن حسن جبل «الاحتجاج بالشعر في اللغة»، وهو قد رجع إلى كتاب ياسين الأيوبي «معجم الشعراء في لسان العرب» والأمر على القارئ أهون من قبل مع وجود الاسطوانات المضغوطة للتأكد من النتائج.

١٣٦ بيتًا في أكثر من مائة تركيب لأبي دُواد الإيادي (ص١٠٦-١٠٧) .

٢٠٠ بيت لعدي بن زيد العبادي (ص١٠٧) .

٣١٥ بيتًا للطرماح بن حكيم (ص١٠٧) .

٥٠٠ بيت للكميت بن زيد (ص١٠٧) .

أكثر من ألف بيت لذي الرمة، غيلان بن عُقبة (ص١٠٧) .

ونترك للقارئ الكريم البحث عن بقية (المستبعدين) الذين رفضهم اللغويون ولم يسمحوا لشعرهم بالدخول في مجال الدراسة!! والعجيب أن العلامة عبد الفتاح سليم قد قلب الهرم رأسًا على عقب، فجعل الأصمعي - الذي يعد شاذًا على جمهور اللغويين - هو المقياس، فصاحبنا يقول: «لكن الغريب الذي لم يكن متوقعًا من ابن قتيبة أن وجدناه يخرج عن هذا المسلك الأصمعي، فيحتج بأشعار للكميت ولذي الرمة والطرماح (...) في معاني اللغة وألفاظها (...) [وفي موضع آخر يقول عن الفراء] وبمخالفته لبعض آراء الأصمعي نضيف إليه مقياسه السابق أنه كان يرى توسعة مجال الاستشهاد بالاحتجاج بأشعار المولدين كالكميت»[1] .

(٢)

جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) عالم متعدد الاهتمامات، فهو أديب مبدع له المقامات المعروفة بـ (أطباق الذهب)، فهي من إنتاجه الأدبي وينبغي أن ينظر إليها هكذا. ثم هو معجمي يجمع في (الفائق) الألفاظ الواردة في كلام النبي ﷺ والصحابة وبعض التابعين ويفسرها. ويجمع التعابير الاصطلاحية والعبارات البليغة أنى وجدها في (الأساس). وهو في (المفصل) نحوي يسير على تقاليد الكتابة في تأليف كتاب نحوي، وإن

(١) عبد الفتاح سليم اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه. القاهرة دار المعارف ١٩٨٩، ص ٥، ٨٢ على التوالي

ذهب مذهبًا جديداً في تقسيمه للكتاب. ويعد ذلك هو مفسر للقرآن الكريم ذو اتجاه بلاغي. ويجب أن ننظر إليه في كل حالة في سياق تقاليد الكتابة في المجال المعين.

وكتب التفسير القديمة - وما أكثرها!- ربما كانت أدل على التنوع، فالاتجاه الغالب على كل مفسر إنما هو غالب نسبيًا وليس مطلقًا. فإذا كانت عناية الطبري في (جامع البيان) منصرفة إلى التفسير بالمأثور عن الصحابة أو التابعين أو عن أهل الكتاب تلصق بواحد من القبلتين، فإن تفسيره لم يخل من عناية بالنحو في مواضع ليست قليلة، ولم يخل من اهتمام ببعض أوجه البلاغة أو أحكام الفقه أو القراءات. كذلك كانت عناية القرطبي في (الجامع) بمسائل الفقه كبيرة، لكنه لم يخل من اهتمام بالجوانب الأخرى. وقل مثل ذلك عن تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الغرناطي، إذ يغلب عليه الاهتمام بمسائل النحو والصرف والقراءات وإن لم يخل من اهتمامات أخرى. وقل مثل ذلك عن تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)[1]. فقد كانت عنايته منصرفة إلى وجوه البلاغة في آي الله عز وجل، مصبوغة بآراء المعتزلة في المواطن التي يرى أن حملها على مقتضى الظاهر قد يعني المساس بتنزيه الله تعالى، فيؤولها اعتماداً على أساليب البلاغة في لغة العرب. لكن ذلك لا يعني أنه أهمل الجوانب الأخرى، فهناك مواطن تستحق وقفة طيبة، وبعضها يستحق الاستفادة من التشريح، وبعضها يثير الذاكرة لاستدعاء ما يشبه المعنى أو اللفظ. أي أن الكشاف ليس كتاب نحو تعليمي أو نحو نظري

---

(1) اخترنا هذه الطبعة القاهرية الصادرة عن مكتبة مصطفى الحلبي ١٩٤٨م التي طبع معها.

أ- حاشية السيد الشريف الجرجاني ب- الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن محمد بن المنيِّر المالكي الإسكندري

جـ- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحب الدين أفندي. وسنختصرها (بالكشاف) مشيرين إلى هذه الحواشي باسم مؤلفيها

لنحاكمه وفق تقاليد التأليف النحوي، فللتأليف كتاب نحو أصوله المرعية من حيث المصطلحات والشواهد المتشابهة التي قد تقل أو تزيد من كتاب إلى آخر.

غير أن أغلب - أخشى أن أقول كل - المؤلفين عن الدراسات اللغوية والنحوية عند القدماء يغفلون السمة الرئيسية للكشاف ويجرون عليه أحكامًا هي هي لم تتغير من أيام السيوطي ثم البغدادي. والذي يهمنا هنا قولهم إن الزمخشري يحتج بأشعار المولدين، وقد احتج ببيت لأبي تمام في الكشاف...إلخ.

ولتحرير هذه المسألة حرت في أمري؛ أأنقل كلام السيوطي ثم البغدادي، ثم الذين نقلوا كلام أحدهما أو كليهما[1] ؟ ثم أعود إلى الكشاف وحواشيه فأفسر الأمر اعتمادًا على المقدمة التي أوردت. إن هذا يتطلب أربع صفحات أو خمسًا. أم أبدأ بالكشاف نفسه ثم بحواشيه مُطلِقًا الحكم الأخير؟ رأيت أن الطريقة الثانية أفضل.

في أثناء تفسيره الآية العشرين من سورة البقرة ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ . «وأظلم»: يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعديًا منقولاً من ظَلَم الليلُ، وتشهدُ له قراءة يزيد بن قطيب (أظلِمَ) على ما لم يُسمَّ فاعله .

وجاء في شعر حبيب بن أوس:

هما أظلما حاليَّ ثمَّت أجليا   ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وإن كان محدثًا لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء اللغة، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: (الدليل عليه بيت الحماسة) فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه!!»[2] .

---

(١) انظر مثلاً محمود شكري الألوسي: إتحاف الأمجاد ٦٩ ٧٤، وأحمد مختار عمر البحث اللغوي ٤٨-٤٩، وأحمد محمد قدور مدخل إلى فقه اللغة ٧٦، ورمضان عبد التواب فصول ١٠٢ - ١٠٣، وحاتم الضامن فقه اللغة ١٨، ورجب عبد الجواد دراسات في المعجم ١٥٠

(٢) الكشاف ١ / ٢٢٠-٢٢١ .

هذا التصريح الـذي أنام علماء اللغة وأقعـدهم، فحملوه فوق مـا يحتمل، دعنا ننظر في (موضع الاستشهاد) .

أولاً: وبداهة لا يستـشـهـد على لفظ أو تركـيب إلا بما كـان من جنسـه أو يشبهه، والفعل في الآية لازم في حين أنه متعد في قول أبي تمام، فأين الاستشهاد المزعوم؟

ثانيًـا: تصريح الزمخشـري أن الشاعر محدث لا يستشـهد بشعره... إلخ منفصل عن موضع الشاهد.

ثالثًـا: ينبغي أن يبحث الاحـتجاج بأقوال الشاعر في كتـاب خالص للدراسة النحوية. فهل فعل الذين ظلوا يتناقلون كلام السيوطي والبغدادي؟ كلا.

رابعًا: هذا التصريح بمكانة أبي تمام في الرواية، هل التزم به الزمخشري في تأليفه النحوي؟

نؤجل القـول في التـسـاؤل الأخيـر، وننظر في حـواشي الكشـاف. ذكـر الشريـف الجرجاني الـطبقات الأربع، وأنـه يحتج بأشـعار الـثلاث الأولى، أما المحدثون كـأبي تمام والبحتـري وأبي الطيب «فلا استـشهاد بأشـعارهم إلا على الوجه الذي ذكره وهو أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه»[1] ويعقب ابـن المنير: «واعتُـرض عليه بأن قـبول الرواية مـبني على الضبط والوثوق، واعـتبـار القول والاستـشهاد به مـبني على معـرفة الأوضاع اللغـوية والإحاطة بقـوانينها. ومن البيّن أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقـان الدراية، فلا يلزم من تصديق العلماء إياه فيما جمعه من الحماسة من أشعـار مَن يستشهد بأقوالهم أن يكون جميع شعره مسموعًا منهم أو مستنبطًا من القوانين المأخوذة من استعمالاتهم»[2] .

---

(1) الكشف 1 / 21، حاشية الشريف

(2) الكشاف 1 / 21، حاشية ابن المنير، وهذا أصل ما جاء في الاقتراح 70، والخزانة 1 / 6-8، ومصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن. القاهرة: دار المعارف 1968م، ص 165، وفاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري. بغداد: ط الإرشاد 1971م ص 190، ومن ذكرناهم في الحاشية (***) ونقي في الخزانة رفض التفتازاني أن يكون بمنزلة نقل الحديث بالمعنى 1 / ص 106

أما العالم الجليل فاضل السامرائي فقد توفر على الأعمال النحوية واللغوية عند الزمخشري، وكان لا بد له من التعرض لقضية استشهاد الزمخشري بشعر أبي تمام خاصة والمولدين عامة؛ فكان لما ورد عند السيوطي والبغدادي سطوة غير منكورة على أحكامه. إذ وافقهم عليها دون أن يتأمل الكاتي في كل صنف من أصناف التأليف عند الرجل وينزله منزلته الصحيحة. وإليك بعض بيان.

أولاً: يذكر أنه استشهد (في مقاماته)! بقول البحتري: «جرى الوادي فَطَمّ على القَرِيّ»[1]، واستشهد بقول أبي تمام: «السواد الأعظم»[2]، وبأبي تمام في قوله: «ذات الله»[3]، وبقول الرومي: «المستشف»[4].

وهنا نتساءل كيف يمكن لعمل إبداعي مثل المقامات، وليست عملاً نحويًا بالتأكيد، أن توصف أجزاء النصوص التي تدخل في نسيجها بأنها استشهاد؟

ثانيًا: يذكر أنه «كان يستأنس ويستشهد بأشعار علماء العربية من المولدين ممن لا يحتج بشعرهم من أمثال: أبي تمام والمتنبي والبحتري، بحيث يبدو ذلك سمة بارزة في بحوثه، ولا يصنع ذلك مع سائر المولدين»[5] لكنه لم يورد شاهدًا واحدًا من (المفصل) يؤيد كلامه، وكل ما أورده إما من المقامات(!) أو الكشاف.

ثالثًا: في (الكشاف) أشعار كثيرة لغير هؤلاء المولدين الثلاثة، ولا يذكر في سياقها إنكار ولا تأييد. فالكشاف - كما قلنا - تفسير، والتفاسير تحوي موضوعات كثيرة. فهل إيراده لها (استشهاد). خذ عندك (على سبيل التمثيل لا الحصر):

ثلاثة أبيات في وصف البعوضة[6].

---

(١) فاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ١٨٨، وانظر الزمخشري أطواق الذهب (مقامات الزمخشري)، القاهرة. مكتبة محمد علي صبيح ٤٢

(٢) فاضل السامرائي ١٨٨، ومقامات الزمخشري ١١٧

(٣) فاضل السامرائي ١٨٩، ومقامات الزمخشري ١٢٤

(٤) فاضل السامرائي ١٨٩، ومقامات الزمخشري ١٣٨

(٥) فاضل السامرائي ١٩١

(٦) الكشاف ١/ ٢٦٥ وقال محب الدين أفندي ٤ / ٤٧٦ إنها للزمخشري نفسه

و بيتين

للمأمون بن الرشيد[١] ولبعض البدويات[٢] ولبعض العدلية[٣] ويتبين في أهل البدع لمجهول[٤]، ولأبي العلاء المعري[٥]، ولبعض المحدثين[٦].

ونأتي إلى التساؤل الذي قدمناه: هل التزم الزمخشري بهذا التصريح الناري عن أبي تمام في كتابه النحوي (المفصل في صناعة الإعراب)؟ سنستشير السامرائي الذي يفترض فيه أن يكون قد محص هذه المسألة؛ فيقول لنا: «استشهد في (المفصل) باثنين وأربعين ومائتي شاهد شعري، فيها أكثر من سبعين ومائة شاهد مجهول القائل ومختلف في نسبته إلى صاحبه» ولم يرد ذكر لأبي تمام! مما يدل على أنه تصريح لم يطبقه، كما لم يذكر أخرج صاحبنا عن عصر الاستشهاد في شواهد المفصل أو لم يخرج؟ واقع الأمر أن صاحب (المفصل) لم يخرج عن عصر الاحتجاج حتى في الشواهد المجهولة القائل؛ ذلك أن أكثرها موجود عند سابقي الزمخشري من النحاة، وقد عُرف معظم قائليها. فهو من هذه الناحية نحوي محافظ.

وإذن تسقط أسطورة استشهاد الزمخشري بشعر أبي تمام.

ويفرد جبل الباب السابع[٧] من كتابه لذكر الأئمة الذين احتجوا بشعر المولدين في متن اللغة أو النحو. فإذا تأملت ما أورده رأيتها حالات فردية، ووجدت بعضها يتكرر، مما يجعلك تؤمن بما قاله محمد عيد عن فكرة الزمخشري رغم تطبيق الرضي الاستراباذي (٦٨٦هـ) لها إنها ظلت فكرة نظرية «ولم تؤثر في العرف المتوارث (...) فما الذي يعنيه الاستشهاد بعدة أبيات لأبي تمام أو المتنبي في حديث عارض للزمخشري أو الرضي مع تلك الثروة الهائلة من مادة اللغة التي أنتجها الشعراء الذين انصرف عنهم علماء اللغة؟»[٨].

---

(١) الكشاف ١ / ٢٧٠ . (٢) الكشاف ١ / ٣٣٩

(٣) الكشاف ٢ / ١١٦ . (٤) الكشاف ٢ / ١١٩ .

(٥) الكشاف ٤ / ٥٧، ٢٠٤ (٦) الكشاف ٤ / ١٩٩ .

(٧) محمد حسن حسن جبل: الاحتجاج بالشعر ١١٩ - ٢١٣ .

(٨) محمد عيد: الرواية والاستشهاد ١٥٨ وإلى مثل ذلك ذهب عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، الإسكندرية: المعرفة الجامعية ١٩٩٣م، ص ٢٠٢ - ٢٠٤

فصحاء من الجاهلية
حتى القرن الثالث عشر بعد الهجرة

فصحاء من الجاهلية حتى القرن الثالث عشر بعد الهجرة

(١)

من الحق الاعتـراف أن هذه الأسطورة أقـل انتـشـاراً بين اللغـويين العـرب المحدثين من الأساطير السابقة لكنها موجودة على كل حال عند علماء محترمين، مدققين أحـيانًا، وفي هذه غير مـدققين. مفاد الأسطورة: أن قومًـا من اليمن ظلوا محافظين على لغـتهم العربية الفـصيحة المعربة من الجـاهلية طوال القرون، ويزداد العجب أنهم يسكنون منطقة قـرر اللغويون القدامى عدم فصاحتـها! فهلم بنا أيها القارئ الكريم لنبدأ بتتبعها منذ بدايتها التي لا يعرفها المحدثون.

بدأت بالشاعر عـمارة بن علي بن زيدان الحكمي اليمني (٥١٥-٥٦٩هـ)، المولود في إحـدى مناطق تهـامة باليـمن، والوافـد إلى مـصر عـام ٥٥٠هـ أيام الفـاطمـيين، فكان ممن مـدحهم وزراءهـم وعمـالهم وحلفـاءهم، ثم عـاد إلى الحجاز فاليمن، وبعد ذلك عاد إلى مصر ثانية عام ٥٥٢هـ فاستوطن ديار مصر نهائيًـا بقيـة حياته إلى مـقتله بداية العـهد الأيوبي بتـهمة تدبيـر مؤامـرة لإعادة الخـلافـة الفاطمـيـة[١] . وقد ترجـم لنفسه ولأسـرته في كتـابيه: تاريخ الـيمن، والنكت العصرية، وإليهما سنشير بالعنوان مختصراً[٢] .

قال في تاريخه (سنقسم ما يهمنا منه إلى أرقام):

«١- (...) الزرائب من أعمال ابن طرف وهو الوطن الذي ولدت فيه (..).

---

(١) انظر في تفصيل ذلك، ذو النون المصري: عمارة اليمني، القاهرة النهضة المصرية ١٩٦٦م، ص ٢٦، ٤٢، ٤٦، ٤٧ والكتاب أصله رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٤٠م

(٢) عمارة بن علي اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق (؟) محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٣٨٥هـ. (وهي سطو على طبعة الإنكليزي كاي، وتزيد عليها بالشرثرة المطولة في الحواشي)، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق هرتويغ درنبورغ، شالون مطبع مرسو ١٨٧٩م

٢ وجبل عكاد فوق مدينة الزرائب، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم .

٣- ولم تتغير لغتهم؛ بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحة ولا مساكنة . وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه .

٤- ولقد أذكر أنني دخلت زبيد في سنة ثلاثين وخمسمائة أطلب الفقه وأنا يومئذ دون العشرين، فكان الفقهاء في جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن بشيء من الكلام. فأقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمي بالله القدير: لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة. فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا لقيته يقول: مرحبًا بمن حنثت في يميني لأجله!

٥- ولما زارني والدي وستة من إخواني إلى زبيد أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم، فلا والله ما لحن أحدهم لحنة واحدة أثبتوها عليه!»[1] .

ويقول في النكت العصرية:

«١- وأما الوطن فمن تهامة باليمن مدينة يقال لها: مرطانة من وادي وساع، وبعدها من مكة في مهب الجنوب أحد عشر يومًا، وبها المولد والمربى.

٢- وأهلها بقية العرب في تهامة؛ لأنهم لا يساكنهم حضري، ولا يناكحونه، ولا يجيزون شهادته، ولا يرضون بقتله قَوَدًا بأحد منهم. ولذلك سلمت لغتهم من الفساد.(!)»[2] .

ونلاحظ على النصين ما يلي:

أولاً: غلبة روح المغالبة التي توصل إلى الكذب .

---

(١) تاريخ اليمن لعمارة، ص ١٢٤ - ١٢٦

(٢) النكت العصرية ٧ وانظر في التوفيق بين أسماء الأماكن المتعددة محاولة ذو النون المصري عمارة اليمني، ص ٢٧ حيث حملها من قبيل العام والخاص

ثانيًا: إن قومًا هذا شأنهم في الفصاحة، موجودين في وسط غير فصيح من كل جانب لابد أن تكون فصاحتهم قد طبقت الآفاق شهرةً، لا في القرن السادس فحسب، بل في القرون السابقة على السادس. ولكانوا محجة لكل طالبي اللغة، لكنا نسمع عنهم أول مرة عند صاحبنا وحده .

ثالثًا: هناك لغويون لهم علاقة باليمن إما استيطانًا أو رحلةً كابن دريد في القرن الثالث، والفارابي صاحب ديوان الأدب في الرابع، والربعي في الخامس. ثم نشوان الحميري في السادس، والصغّاني في السابع، وهؤلاء جميعًا لم يشيروا بشيء إلى هؤلاء القوم المعجزة .

رابعًا: من الواضح - إذا جارينا الشاعر في زعمه - أن قومه - وأسرته أيضًا- عندهم حساسية لغوية، تتقاصر دونها حساسية أعضاء الأكاديمية الفرنسية في القرن العشرين الميلادي.

خامسًا: هؤلاء القوم عنصريون لا يختلطون بغيرهم في كل الأحوال التي تستدعي اجتماع البشر بعضهم ببعض، أعني: الزواج والجوار والسكن .

سادسًا: لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الضحك عند قراءة قوله عن الغريب: «... ولا يجيزون شهادته ولا يرضون بقتله قَوَدًا بأحد منهم. ولذلك سلمت لغتهم من الفساد». فإذا كانوا منعزلين متوحشين خائفين على لغتهم، فكيف يحدث الاحتياج إلى شهادة الغريب؟ ناهيك عن أنّ أحدًا سيقتل فردًا منهم عامدًا ليقتص منه؟ ولا أدري كيف ستحدث حادثة قتلٍ للغتهم!

سابعًا: هؤلاء القوم قد وصلوا إلى مرحلة من الاكتفاء الذاتي لم تصلها جمهورية الصين الشعبية أيام ماوتسي تونغ .

ثامنًا: لغة عمارة النثرية لا تؤيد زعمه، فهي ركيكة إذا قيست بلغة الطبري أو عز الدين بن الأثير .

تاسعًا: بعض ما أورده من قصص عن قومه، وفيه جانب من لغتهم. يَنفي هذه الفصاحة، فمن ذلك ما أورده عن رجلٍ يحاكم زوجتهُ أمام عمه، وكيف

أن الرجل زعم أنه أفـضل من المرأة، فلمـا سـألت عن السـبب قـال. لأني أبول فيك. فـردَت عليه: «إنما نخـرتَ باستين بلتقـيان واستك أول منهـزم فيهـما»[1] ويمكن الرجوع إلى المعاجم القديمة مادة (ا س ت) للنظر في هذه الفصاحة!

(٢)

وبقي أن نتسـاءل: ما دافع عمارة إلى هذا الزعم بفصـاحته وفصاحة أسرته ثم أهل موطنه؟ والجـواب أن الرجل نشأ في موطن فقـير زراعيًا، مـجدب في أغلب الأعـوام، يعيش أهله في مـسـتوى الكفـاف أو أدنى. فانتـقل إلي مصـر حاضـرة الخلافة الفـاطمية، فبهـرته مظاهر الحضارة في شتى مناحي الحـياة، ناهيك عن نهر النيل دائم الجـريان. فـإذا ضـمـه - هناك - مـجلس مع رجـال دولة أو علمـاء أو شعـراء وطُلب منه أن يحدثهم فإنه لا يسـتطيع قطعًا أن يتحدث عن أنهـار جارية في موطنه، أو عن حـدائق وزهور، أو عن مبـان وقصور، فلم يبق إلا أن يتـحدث عن فصاحة اللغة التي يتحدثها هو وقومه سليقةً في حين يستعملها رفقاء المجلس في مصـر كتابـةً بعد تعلمهـا صناعةً. ولا ننسى أنه ألف (تاريخ اليـمن) بناءً على اقتراح القـاضي الفاضل (٥٦٣هـ)[2] . وربما عيَّـره بعض الكتاب والأدباء من أن قومه في اليمن يسـمون العين جـحمة، والذئب قلَوبًا، والأصـابع شناتر، والأذن صنارة، وهذه تسـمـيات مـخـالفة لما فـي الكتاب الكريم، وقـد ورد مـثل هذا في المفاخـرات بين بعض اليمنيـة والتميـميين أمـام أبي العباس السـفاح، حـيث قيل عنهم: «إنهم كـانوا بين ناسج برد، وسـائس قـرد، ودابغ جلد، وراكب عَـرد. دل عليهم هدهدٌ، وغرّقتهم فأرة، وملكتهم امرأة»[3] .

---

(١) النكت العصرية ٧ وراجع ص ٦٦ - ٦٧ تجد تأنيث الرأس، والرأس مذكر

(٢) تاريخ اليمن ٣٦

(٣) انظر الجاحظ البيان والتبيين ١ ، ٣٣٩، والتوحيدي البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، بيروت دار صادر ١٩٨٨، جـ٦ ١٦٩، والبيهقي المحاسن والمساوئ، بيروت، ص ١٥٩، وانظر في جمهرة اللغة مواد (صنر) و(شتر)، و(جحم)، و(قلب)، وبعضها منقول عنه في لسان العرب

ومما يؤكد صفة الافتعال في هذا الزعم أنه نقل عن جده زيدان بن أحمد قوله: «أنا أعدُّ من أسلافي أحد عشر جداً، ما منهم إلا عالم مصنّف في عدة علوم!!»[1] (علامة التعجب من عندنا). وجده المزعوم وأجداده الأحد عشر، لم نسمع عنهم ولا عن تصنيفاتهم في العلوم المختلفة إلا منه في هذه الإشارة. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

فلو فرضنا أن بين الجدِّ ومن قبله خمسين عامًا، وزيدان هذا من مواليد القرن الخامس، لكان الجد ذو الرقم [1] سابقًا لنزول القرآن الكريم أو معاصراً له إن تسامحنا. وهذا يعني تعديل رأينا - نحن المحدثين - في أوّليات التصنيف باللغة العربية. وسامح الله المرحوم محمد فؤاد سزكين! كيف غفل عن هذا الخبر المهم فلم يعتمده في كتابه (تاريخ التراث العربي)، ولا رحمة على كارل بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) لأنه مستشرق!

(٢)

وبعد عمارة نجد ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) يذكر في معجمه بعض هذه المناطق وينقل عنه دون أن يصرح بالنقل. ففي (الزرائب) يقول: «الزرائب: بُليد في أوائل اليمن من ناحية زبيد، وإليه ينسب عمارة اليمني الشاعر فيما قبل»[2].

وفي موضع آخر يقول: «عكوتان... وهو اسم جبلين منيعين مشرفين على زبيد باليمن، من أحدهما عُمارة بن أبي الحسن اليمني الشاعر، من موضع فيه يقال: الزرائب (!)... وجبّلا عكاد: فوق مدينة الزرائب. وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم. لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحة، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه»[3].

لا يشرفان على زبيد جبال أصلاً

---

(١) النكت العصرية ٨.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت: دار صادر جـ٣ / ١٣٦.

(٣) معجم البلدان جـ٤ / ١٤٣.

ونلاحظ أنه في الموضع الأول ذكره بصيغة التمريض (فيما قيل). أما في الموضع الأخير فنقل عن عمارة دون تصريح رغم أن العبارتين متطابقتان، وهو لا يعرف اليمن أصلاً، فإذا جاء من بعده ونظر فيما سطره ظنّه يتحدث عن مشاهدة، فتثبت هذه الأسطورة عنده .

أما المؤرخون اليمنيون التالون لعمارة، فلم يؤكدوا هذه الأسطورة ولم ينفوها، ويحمد لهم أنهم نصّوا على النقل من كتابه. ذكر بامخرمة (ت٩٤٧هـ) «قال أبو الحسن الخزرجي: وذَكر عمارة في مفيده أنه ولد بقرية الزرائب، وهي في الناحية الشرقية من المخلافِ السليماني. وذكر أن أهل تلك الناحية باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى عصره لم تتغير لغتهم، وذلك أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحة ولا مساكنة، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه»[1] .

وما نقله بامخرمة يطابق ما ذكره عمارة وياقوت كما هو واضح لكل ذي عينين، لكنه اكتفى بالنقل مجرداً من كل تعليق .

غير أن العُجب العجاب إنما جاء عن طريق صاحب القاموس المحيط (ت٨١٧هـ)، ثم عن طريق شارحه الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) في مادة (عكد)، يقول الأول: «... كسحاب: جبل قرب زبيد أهلها باقية على اللغة الفصيحة» اهـ. (!!!) ويزيد الثاني فيقول: «إلى الآن. ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفًا على لسانهم» اهـ .

ولا نريد التعليق على ما قالاه، غير أننا ننكره جملة وتفصيلاً، ونقول: إن الأول نقله من ياقوت دون أن يذكره، على عادته في هذا الشأن، خصوصًا أنه ذكر المواضع كعادته نهاية المادة، وهذه يجعلها أشبه شيء بالتحلية. فإن قلت: إن الفيروزآبادي سكن في زبيد، قلنا: نعم، سكن فيها، لكن السكن لا يلزم منه

---

(١) الطيب بن عبد الله بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، بعناية أوسكر لوفغرين، ليدن: بريل ١٩٣٦ جـ٢ / ١٦٥

التحرّي. وإلاّ فلو كان صادقًا فلماذا لم ينقل عنهم ماداموا فصحاء؟ وكان هذا سيوفر عليه كثيرًا من العناء في تعقب صاحب الصحاح في كل شاردة وواردة وفوق هذا سيجنبه التصحيف والتحريف سواء الذي وقع فيه هو أو وقع فيه السابقون ونقله عنهم دون تبصر، بل سيغنيه من تصفح الأسفار الستين التي زعم في المقدمة أنه رجع إليها في تأليف قاموسه، فهؤلاء القوم قريبون منه ويستطيع الرجوع إليهم متى شاء، وله في منصب قاضي القضاة أكبر تسهيل له في عمله .

وهذا الذي علقنا به سبقنا إليه اللغوي الجليل الشدياق في غير موضع من الجاسوس، قال: «ومع أن المصنف ألف كتابه في زبيد وزعم أن أهل جبل عكاد القريب منها باقون على العربية الفصيحة (...) لم يتعنَّ لمشافهتهم والأخذ عنهم، بل قلما أسند شيئًا مما رواه إلى قائله وإن كان على غير القياس»[1] .

وفي موضع آخر يقول: «وبقي النظر في صحة هذا الخبر. إذ لا يحتمل أن اللغة العربية بقيت إلى عهد المصنف سالمة من اللحن، حتى إنهم اعترضوا على الجوهري لقوله : (ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية)، والجوهري كان قبل المصنف بنحو أربعمائة سنة. غير أن الشارح أثبت قول المصنف وزاد على أن قال: إلى الآن (...) خوفًا على لسانهم. اهـ. يعني أنهم لا يدَعون الغريب يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال.[1] فالعجب من المصنف والشارح لم يذكرا عددهم ولا حسبهم ولا نسبه .[2] وتمام العجب أنه لم ينبغ فيهم شاعر فيصل إلينا من شعره شيء .[3] وأن المصنف لم يشافههم كما شافه الجوهري عرب زمانه مع أنه كان قريبًا منهم. فياليته سألهم عن «نقيأت المرأة لزوجها»[2] .

---

(١) أحمد فارس الشدياق: الجاسوس على القاموس. قسطنطينية: مط الجوائب ١٢٩٩هـ ص ٨١

(٢) الجاسوس ص ٥١٤ ، والمعكوفان المرقمان [ ] من عندنا. والشدياق يسخر من صاحب القاموس إذ أورد في (قاء) نقيأت [المرأة] لبعلها وألقت نفسها عليه ولم يرد ذلك في الصحاح والعباب والأساس والمصباح وهذا تصحيف نقبأت (بالموحدة)، صوابه ما جاء في اللسان تقيأت المرأة لزوجها تثنت عليه وتكسرت له تدللاً، وألقت نفسها عليه من التقيء والرجوع وأنه بالقاف تصحيف كما قال الأزهري انظر ص ٤١٠ ٤١١ من الجاسوس

وأقـول: إن الشديـاق لم يصل إليـه ادعاء عـمـارة نفسـه، بل خـلاصتها الموجودة عند صاحب القاموس وشارحه. وهو على حق فيما ذكر جميعًا.

وهذا يدلك أن ديدن الـقـامـوس إنما هو النقل من تكملـة الصـغـاني على صحاح الجـوهري ثم من كتب البلدان وكتب الطب وبعض كـتـب الرجال، مع سبكهـا جميـعًا بطريقتـه المختصـرة المتخـفـفة من الشـواهد وإيراد الأقوال. ولو افترضنا جدلاً - ونقول جدلاً؛ لأنه لم ينقل عن هؤلاء الفصحاء شيئًا - أنه نقل بعض ما نقل عن تجربة لكانت مصيبة عليـه. فقد ذكر في مادة (عدر) أن العدار - كغراب - دابـةٌ تنكح الرجال في اليمن ويخرج من نطـفها دود! ![1]، فـهل صادفه وتأكد من هذا الكلام الغث؟

ونضـيـف إلى الفـقـرة (٣) من كـلام الشـدياق؛ أن ابن جني، مـعـاصـر الجوهري، يفرد في خصائصـه بابًا سـماه: «باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كمـا أخذ عن أهل الوبر. علة امـتناع ذلك ما عـرض للغات الحـاضرة وأهل المدر من الاخـتـلال والفـسـاد والخطل. ولو علـم أن أهل مـدينة باقـون على فصاحـتهم، ولم يعترض شيء من الفـسـاد للغتهم، لوجب الأخـذ عنهم كما يؤخذ من أهل الوبر. وكذلك أيضًا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخـبالهـا، وانتقاض عـادة الفصـاحة وانتـشارها، لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها. وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا؛ لأنَّا لا نكاد نرى بدويًا فصيحًا»[2].

ومـضى ابن جني يحكي قـصة البـدوي مدعي الفـصـاحة وكـيف ارتكب أخطاء كثيرة مما أوجب نبذ لغته واطراحها[3].

---

(١) انظر (عدر) في القـاموس، وتاج العروس. وانظـر تعليق مطهر الإرياني في كتـابه: المعجم اليمني في اللغة والتراث، حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية، دمشق ص ١٩٩٦ ص ٦٠٩

(٢) ابن جني الخصائص ٢ / ٥

(٣) الخصائص ٢ / ٦ - ٨

على أن الشيخ محمد علي النجار محقق الخصائص أفرد هامشًا مطولاً لهذا الخبر فنقل كلام القاموس في (عكد)، ثم كلام الزبيدي المتوفي ١٢٠٥هـ وكلام ياقوت في (عكوتان)، كأنه يؤيدهما في بقاء الفصاحة في تلك المنطقة حتى القرن الثالث عشر الهجري.

وذهب دارس خصّص كتابًا كاملاً عن التاج وصاحبه، إلى أن الزبيدي تلقى اللغة الفصحى من الأعراب الذين التقاهم في جنوبي الجزيرة وسمع منهم بعض ما يتعلق بأمور اللغة»[1].

وجاء باحث آخر خصص كتابه لزيادات الزبيدي على القاموس، فنقل ما قدمنا عن شلاش دون تعليق[*]. وأحسن صنعًا عندما أفرد ملحقًا للمعجم اليمني في التاج وفي التكملة معًا[**]. فإذا هي (٥٤) أربع وخمسون كلمة، منها (٢٥) خمس وعشرون استدركها على القاموس من (لسان العرب) لابن منظور تصريحًا. وبقي إجمالي ما سمعه (٢٠) عشرون كلمة، يهمنا أنها ليست من المنطقة التي بقيت فيها اللغة فصيحة إلى عهده، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ثم نجد العالم المدقق عبد الفتاح سليم لا يدقق عند هذين الخبرين. قال: «ولم نعثر على نص يثبت خلوص لغة الأعراب فيما وراء القرن الرابع، اللهم إلا ما جاء في معجم البلدان (...) قال: وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب، وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم (...) وجاء عن

---

(١) [هاشم طه شلاش، الزبيدي في كتابه تاج العروس، بغداد، دار الكتاب للطباعة ١٩٨٠م ص ٢١٥]. وإذ تأملنا في الحكم لم نجد إلا تصحيحه (استأهل) اعتمادًا على ما جاء في اللسان عن الأزهري ثم الزمخشري، وأنه سمع ذلك من أعراب الصفراء في اليمن. ولم يتطرق البتة إلى ذكر المنطقة التي قال فيها (إلى اليوم). فتأمل

(*) فريد عوض حيدر. دراسة لغوية لزيادات الزبيدي واستدراكاته على القاموس المحيط، القاهرة. مكتبة الآداب ٢٠٠٥م، ص ٤٣-٤٤

(**) فريد عوض حيدر. دراسة لغوية. ص ٢٩٢ - ٢٩٣

الفيروزآبادي ما يفيد أن هؤلاء باقون على فصاحتهم حتى القرن التاسع، بل جاء عن شارحه مرتضى الزبيدي ما يفيد امتداد عصر فصاحتهم حتى زمنه سنة ١٢٠٥هـ. قال الفيروزآبادي (...) وزاد الزبيدي ...»[1].

وواضح أن عبد الفتاح سليم استفاد من محقق الخصائص. غير أن لنا ملاحظات على كلامه، فهو يقول (خلوص لغة الأعراب). وهؤلاء ليسوا أعرابًا بل أصحاب مدر. وهو يعبر عن امتداد زمن الفصاحة إلى أيام الزبيدي فقال: (زمنه سنة ١٢٠٥هـ)، وهذا ليس زمن التأليف بل زمن وفاة المؤلف شارح القاموس. وبالتأكيد لم يعرف منشأ هذه الأسطورة، بل تلقاها بالقبول.

ويأتي اللغوي الجليل نهاد الموسى فيذكر أن التطور الجاري على العربية المنطوقة جعل لهجات الخطاب جميعًا تطرح الأعراب، وأن هذا لم يقتصر «على أهل الأمصار التي تأثرت بالاختلاط تأثرًا مباشرًا، فإن لهجات الأعراب الذين لم يخرجوا إلى الأمصار وبقوا في الجزيرة قد فقدت الإعراب بالتدريج أيضًا»[2]. ثم يذكر في الهامش قول الثلاثي: الفيروزآبادي والزبيدي وياقوت. ويعقب: «إذا صح ذلك كان الشاذ الذي يؤيد القاعدة. ولكن هذه الظاهرة الفريدة تستحق أن تجرد لها بعثة لغوية؛ لأن التحقق منها يساعد في جلاء مسائل على درجة بالغة الأهمية في علم اللسان البشري، وعلم اللسان العربي وتاريخه، وخاصة أنها ظاهرة في الجنوب المقول فيه: إنه لسان مغاير للسان العربي في الشمال»[3].

---

(١) عبد الفتاح سليم. اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٩، جـ١ / ٢٦٨

(٢) نهاد الموسى. التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، عمّان: دار الفكر ١٩٨٧م، ص ٧٢

(٣) نهاد الموسى. التحول إلى الفصحى، ص ٧٢ هامش (٣)

(٤)

سنجاري نهاد الموسي في رغبته للتحقق من هذه (الظاهرة الفريدة) مع إيماننا بأنها أسطورة أسسها شاعر مفاخر لأقرانه. وأول ما نجده الاضطراب في مواقع الأماكن التي ذكرها عمارة ومن نقل عنه دون أن يسميه؛ فليس في اليمن لا قرب زبيد ولا بعيداً عنها ما يسمى مرطان / مرطانة، ولا وادي وساع، ولا عكوتان/ عكوتين .

وأما (عكاد) بفتح العين وضمها فهي «قرية بالقرب من ميدي في محافظة حجة»[1] وفيها عامية أمين مستغلقة .

وأما (الزرائب) فهي: «بلدة خاربة في تهامة الشمالية بجوار جبل العكوتين، فيها دارت المعركة الفاصلة بين جيش الملك علي الصليحي وبنو نجاح الأحوش سنة ٤٥٠هـ... وفي الزرائب مولد عمارة»[2] (هكذا).

ينقل محقق تاريخ اليمن عند ذكر عمارة فصاحته وقومه - بالتسليم - ما ذكره القاموس والتاج، ويعلق بما يلي: «خبرني الأخ قاسم ناصر من (مدينة جازان) أن أهل الجبلين المذكورين [يقصد جبلي عكاد المذكورين في الشعر وعند عمارة] لازالت (هكذا) لغتهم في الفصحى إلاّ بعض الشيء بحكم الاختلاط. وعكوتان وعكاد والزرائب من وادي بيش بالمخلاف السليماني»[3]

فها قد اتضح أن هذه المواضع جميعًا، إلا ما لا وجود له، بينها وبين زبيد مسيرة ما بين أسبوع إلى خمسة أيام. وأما ما نقله المرحوم قاسم ناصر للمرحوم المحقق فلا يعاج عليه؛ لأن مفهوم (الفصاحة) غير واضح عند الأخير، أهي

---

(١) إبراهيم المقحفي معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء دار الكلمة جـ٢ / ١١٠٠، أي بينها وبين زبيد مسيرة خمسة أيام على الأقدام

(٢) معجم البلدان والقبائل جـ١ / ٧٣٨

(٣) تاريخ اليمن لعمارة ص ١٢٦ هـ المحقق

المحافظة على عـلامات الإعراب الأصلية والفـرعية؟ أم إن مخـارج الأصوات عند هؤلاء كـما قـرره علماء التـجويد نقـلاً عن النحاة؟ أم إن بعض المـفردات دلالتها عندها كما في المعاجم القديمة؟ فإن كانت الأخيرتان فهما متوافرتان في كثير من اللهجات الحديثة داخل اليمن وخارجها. أما الأولى فلا .

قال القدماء: «إذا كذبت فكن ذكوراً». والمرحـوم عمارة يقول في كتابه: إن معركـة دارت بين جيش المكرم الصليحي وجيش النجاحـيين، في نفس منطقته، ومنادي جـيش المكرم ينادي بأن «الجلـدة السوداء تعم الـعبـد والحـر، ولكن إذا سمعتم من يسمي العظم عزمًا فاقتلوه فـإنه حبشي، ومن سماه عظمًا فهو عربي فاتركوه»[1] .

ooo

(1) تاريخ اليمن لعمارة، ص ١٣٤

زُهاب العربية الفصحى

رُهاب العربية الفصحى

الخوف ظاهرة طبيعية عند البشر، ووسيلة مهمة للحفاظ على الحياة من الحيوانات والزواحف والنار والبرد والمرض، وكل ما يضر بحياتهم، لكنه يصبح ظاهرة مرضية إذا تجاوز هذه الحدود. فلنفرض أن أبوين لديهما طفل محبوب، يحرصان على ألاَّ يصيبه ما يؤذيه؛ فتراهما يبعدانه عن مصادر الخطر كالنار والكهرباء والسوائل المضرّة، ويدفئانه خشية البرد، ويبعدانه عن تيار الهواء. هذا الخوف مسوّغ ومشروع، لكنه يصبح رهابًا إذا بالغا في تغطيته بعدة طبقات من الملابس الثقيلة التي تضايقه وتمنع حركته الطبيعية، ومنعًا عنه التعرض للهواء بإغلاق نوافذ البيت كافة. ستكون النتيجة وبالاً على هذا الطفل المحبوب؛ إذ إن جسمه افتقد للمناعة الطبيعية، فساعة يتعرض للهواء عند خلع هذه الأغطية أو عند تعرضه لتغير في درجة حرارة الجو، يبدأ في العطس ويصاب بالزكام، وربما انقلب الأمر إلى التهاب في اللوزتين والحلق والجيوب الأنفية والرئة .

ويبدو أن الخوف على العربية الفصحى عندنا - نحن العربَ - تجاوز حدود الخوف الطبيعي عند الأمم الأخرى، التي تحرص على لغاتها وتحيطها بالرعاية وتسعى إلى تعليمها بالطرائق الصحيحة بين أبنائها وغير أبنائها، وتعمل بجد ودأب على تنمية كل ما من شأنه أن يطورها. ذلك أن لدينا انفصامًا بين القول والفعل لا يخطئه المتأمل في أحوالنا، فكل - إن لم نقل أغلب- تصرفاتنا حيالها تنبئ عن أننا نعمل على تحطيمها والإساءة إليها وإلى أنفسنا ما بين إفراط في الخوف غير المسوغ وتفريط في تعليمها وتنميتها. وهذا نوع من الخوف المرضي سماه علماء النفس الرُهاب

«والرهاب: الخـوف المرضي من بعض الأشيـاء والأفعـال والأحوال (...) ويتنوع الرهاب بتنوع مـصـادر الخوف مـثل: رهاب الانغلاق ورهاب الاتسـاع ورهاب الأوساخ...إلخ»[١] .

«فرهاب الأمراض: الخـوف الشديد من الإصابة بالأمراض المخـتلفة يدفع الإنسان إلى سلوك وقائـي متشدد مع نفسـه ومع غيره»[٢] . وفي مـرجـع آخـر يعـرف الرهاب بأنه «خوف قـوي ودائب وغيـر منطقي يبعـثه تنبيه أو مـوقف معين، كـالخوف المرضي من الأماكن المفـتوحة (...) والأمـاكن المغلقة ورهاب الدم وخشية الظلام وخُواف الغرباء والخـوف من الحيوانات (...) خوف مفرط على غير أسـس تكون مقبولة أو معقولة لدى الخائف نفسه»[٣] .

العربيـة الفصـحى توليف بين لغة الشـعر القديم من الجـاهلية حتـى منتصف القرن الثاني الهجـري، ثم لغة القرآن الكريم، ثم لغة مجموعـة من القبائل البدوية في القرن الثاني هي: تميم، وقـيس، وأسد، وهذيل، وبعض طيئ وبعض كنانة[٤] . هناك خصوصية لكل هذه اللغات الثلاث، إضـافة إلى وجود قاسم مشترك يجمع بينها، وبها قـواعد شائعة عـامة أساسية في أنظمـتها المختلفـة، وقواعد ثانوية أقل شيـوعًا. والمعلوم أن كل شيء في الدنيـا عرضة للتـغير واللغـة من بينها، غـير أن معـجمها أسـرع الجوانب في التغـير، في حين تظل أنظمتـها الأخرى عصيّة على التغير. وإذا حدث فيها تغير فلا يحدث إلا بعد مرور أجيال.

---

(١) عبد المجيد سالمي ونور الدين خالد وشريف نوي: معجم مصطلحات علم النفس، عربي فرنسي انجليزي. القاهرة، وبيروت: دار الكتاب المصري اللبناني ١٩٩٨، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) نفس المرجع وذكر له ١٢٦ صنفًا من ص ١١٦ - ٢٢٩ .

(٣) كمال دسوقي: ذخيرة علوم النفس، إنجليزي فرنسي عربي ألماني. القاهرة: الدولية للنشر ١٩٨٩م، ص ١٠٧٥، وفي ١٠٧٦ - ١٠٧٧ شرح لبعض أنواعه كرهاب الحمّام والسرطان ومقبض الباب والشارع والمركبات والشراب. وقارن بـ: رولان دورون وفرانسواز بارو: موسوعة علم النفس، تعريب فؤاد شاهين، بيروت: عويدات ١٩٩٧م، جـ٢ / ٨١٨ .

(٤) انظر الفارابي: كتاب الحروف، تح محسن مهدي، بيروت: دار المشرق ١٩٦٩م، ص ١٤٧، وقارن بالمزهر للسيوطي جـ١ / ٢١١ - ٢١٢

بعض اللغويين القدماء والمحدثين عندهم رهاب الفصحى، ونعني به: الخوف المبالَغ فيه على الفصحى من أي تغير يحدث لدلالة كلمة ما، أو قاعدة جزئية في الصرف والنحو. ولا ينبغي أن يُفهم من كلامنا أن الفصحى بغير معايير؛ فمعايير الصواب والخطأ في استعمال اللغة موجود في كل مستوى من مستويات اللغة الواحدة. غير أن الأمر تحول إلى رهاب العربية الفصحى. وهذا الرهاب تجاوز اللغويين إلى غيرهم ممن لهم علاقة بدراسة اللغة كالفقهاء والمدرسين والإعلاميين؛ فقد كثرت الكتابات في التصحيح اللغوي سواء كانت على هيئة كتاب أو فصل في كتاب، أو مقالات في الصحف أو برامج في الإذاعة. فإذا تأملت مليًا فيما قيل عنه خطأ يُراد تصحيحه؛ وجدت كثيرًا منه يتردد في تراثنا منذ القرن الثاني الهجري إلى الآن، ولم تجد معيارًا محددًا لذلك. ووجدت في الرهابيين من يدقق ويحقق لكن الرهاب يغلبه. ووجدت فيهم قليل البضاعة من علوم اللغة، ووجدت من يزعم أن له معيارًا ثم يخالف معياره هو. ولا تفسير لذلك إلاّ الرهاب مضافًا إليه الفصام بين القول والعمل. ودعنا ننظر في أعمال بعض الروّاد الأقدمين لنرى ذلك واضحًا لديهم.

فالكسائي (ت١٨٩هـ) «يعتدّ بسماعه هو في تخطئة العامة أو عدم تخطئتها، وقد جرّ عليه ذلك اتهام معاصريه بأن سماعه هو غير حجّة. فهو كثيرًا ما يسمع اللحن والشاذ ويقيس عليهما»[1] .

ومقياس الفراء (ت٢٠٧هـ) مضطرب بين السماع والقياس. فهو أحيانًا يلتزم السماع، وأحيانًا يتوسع في القياس وأحيانًا لا يلتزم السماع ولا القياس[2] .

أما الأصمعي (ت٢١٦هـ) فلم يكن على رأي واحد إزاء الشعراء. فبعضهم حُجّة وبعضهم لاحن، لكن حياتهم متشابهة وزمانهم واحد. وذلك

---

(١) عبد الفتاح سليم: اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٩م، ص ٥٥

(٢) اللحن في اللغة ص ٦١

يدفع إلى القول بأن هناك أسبابًا أخرى لتلحين من لحّن (...) وهي أسباب غير لغوية على كل حال[1] .

«ولم نجد لابن السكّيت (ت٢٤٤هـ) مقياسًا ثابتًا في التصويب والتخطئة، وإنما أمره دائر بين التزمت أحيانًا بالتوقف عند الأفصح وطرح ما عداه، والتسامح أحيانًا أخرى بالأخذ من كل اللغات»[2] .

ولم يكن ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) «ذا مقياس موحد في حكمه على استعمال العامة تخطئةً وإجازةً»[3] .

وترجع شهرة (درّة الغوّاص) للحريري (ت٥١٦) «إلى ما اشتملت عليه من انتقادات لغوية متعسفة (...) غالب ما فيها مسطر في كتب أسلافه من علماء التنقية اللغوية وغيرهم»[4] ووصل به تشدده إلى حد أنه هو نفسه وقع في كثير مما خطّأه[5] .

ويُجمل نعمة العزاوي عيوب هذا النقد اللغوي في[6] :

التزمّت والجمود، وكان من مظاهره: الاحتكام إلى القديم والتقيد بالعرف اللغوي، وعدم التفريق بين الخطأ والتطور، والتمسك بالأفصح الذي اختلفوا عليه...

---

(1) اللحن في اللغة ٦٤، ونعمة رحيم العزاوي: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، بغداد، دار الحرية ١٩٧٨م، ص ١١١

(2) اللحن في اللغة ٦٤

(3) اللحن في اللغة ٧٩

(4) اللحن في اللغة ٨٥

(5) اللحن في اللغة ٨٦

(6) النقد اللغوي ٣٨٥ – ٤١١. وقد توفر صديقنا الدكتور أحمد محمد قدور على دراسة (كتب اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن التاسع الهجري) دمشق، وزارة الثقافة، فوصل إلى أن هذه الكتب جميعًا جنت على حق فيما زعمته من لحن في الأبنية والمشتقات بنسبة تصل إلى ٩٠٪، انظر ٢٣٩ حتى آخر الكتاب.

التعصب للمنشئ أو عليه ...

الفصل بين اللفظ والمعنى...

وهذا الفصام – مع الرهاب – واضح عند المصويين المحدثين: [1]

شاكير شقير: لم يلتزم مقياسه في نقده (٣٢٧) ولا في استعمالاته اللغوية (٣٢٩).

إبراهيم اليازجي: لم يلتزم مقياسه في نقده (٣٤٢) ولم يكن ذا مقياس واحد (٣٤٣).

أسعد داغر: لم يلتزم مقياسه في كل انتقاداته (٣٥٣) ولا في استعماله اللغوي (٣٥٤).

عبد القادر المغربي: ربما رفض ما له وجه صحيح (٣٦٩).

مصطفى الغلاييني: لم يلتزم مقياسه في كل ما أورده (٣٧٤).

محمد علي النجار: لم يلتزم في بعض ما أورده (٤٠٢) ولم يكن موفقًا في كل ما أنكره (٤٠٧).

أحمد أبو الخضر منسي: خرج في مسائل على منهجه. وفي استعماله اللغوي ما يخالف مقياسه (٤١٥).

أحمد العوامري: لم يلتزم مقياسه (٤٢٠).

عباس أبو السعود: لم يلتزم مقياسه في كل مواده (٤٢٨).

الأب أنستاس ماري الكرملي: خرج على مقياسه في أمور أربعة (٤٤٧)

كمال إبراهيم: لديه مخالفة بين ما صرّح به من منهج وما حكم به على الاستعمالات (٤٥٠).

---

(١) هنا سنذكر رقم الصفحة وكلها من كتاب (النحو في اللغة) تجنبًا على الهوامش

مصطفى جواد: لم يكن لديه مقياس ثابت، بل كان يضطر إلى تخطيء المعجمات العربية المعتمدة، لأنها قالت بما لا يقول به وقررت ما ينقض حكمًا من أحكامه[1] .

أحمد مختار عمر: قد يخطئ ما لم ينص القدماء على خطئه، ولا دليل عنده إلا المنطق العقلي وحده[2] . وقد يجد ظاهرة لها استعمالات قديمة وأقرّها المجمع اللغوي الذي هو عضو فيه، ومع ذلك يعدها خطأ ويرفض قرار المجمع ![3] والعجيب أنه في كتبه الأخرى يرتكب ما يحذّر الكتّاب منه[4] .

عبد الفتاح سليم: لم يسلم من الرهاب على غزارة علمه، فهو يخالف مقاييسه، وأحيانًا يخطئ أو يجيز دون سند إلاّ استنكاره أو استحسانه الشخصيين. فهو يخطئ (ساهم والمساهمة) رغم إقرار المجمع القاهري لهما، ويفضل عليهما (أسهم والإسهام) مع عدم ورودهما في المعجم [5] . ويخطئ (اكتشف) لعدم وجودها في المعاجم القديمة ويفضل عليها (كشف)[6] .

أهم مظاهر رهاب الفصحى:

مظاهره كثيرة لكن أبرزها من وجهة نظرنا ثلاثة:

- الخوف من التطور التركيبي في الفصحى .

(١) انظر التفصيل في محمد ضاري حمادي حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، بغداد: الرشيد ١٩٨٠م، ص ٢٢٧-٢٢٩ .

(٢) أحمد مختار عمر أخطاء اللغة العربية عند الكتاب والإذاعيين (ط٢)، القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٣م، ص ١٨٩ .

(٣) نفسه ص ١٩٠ - ١٩١

(٤) انظر مثلاً علم الدلالة، الكويت دار العروبة ١٩٨٢م، ص ١٦١ ومثله - دون دليل - عبد الله التطاوي، عود إلى الفصحة اللغوية، مط جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤٠، و ص ص ١٠١ - ١١٢ .

(٥) عبد الفتاح سليم في النقد اللغوي دراسة تقويمية، القاهرة مكتبة الآداب ٢٠٠١م ص ٣٩، ١٧٧، ٢٦١ والواقع أن أسهم وساهم كليهما لم يرد بمعنى الاشتراك في المعاجم، غير أن ساهم ومشتقاتها مذكورة في عصر الاحتجاج وما بعده من عصور، في حين أن الأخرى لا تعضدها النصوص. انظر عباس الموسوعة العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، القاهرة مكتبة غريب ٢٠٠٢م ص ص ٣٧-٤٤ .

(٦) في النقد اللغوي ٨٢ ، ٢٢٧

- رُهاب الهمزة .

- رهاب دراسة اللهجات الحديثة .

وإليكم التفصيل:

أولاً: الخوف من التطور التركيبي في الفصحى:

ذكر بعض أساتذتنا «أن استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (التطور) لا يعني تقييم هذا التطور والحكم عليه بالحسن أو بالقبح، فإنه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة (التغير)»[1] . وهذا حق. لكنني في هذا البحث أريد بالتطور التغير إلى أحسن، ولا أريد أن يدل على معنى محايد. أما الظاهرة التي أصفها بالحسن فهي الظاهرة التي تضيف إلى العربية جديدًا، أو تستفيد من إمكانية تعبيرية فيها لم يلتفت إليها القدماء كثيرًا. وغني عن القول أن هذه الاستفادة لا تتم إلا من خلال استعمال أبناء العربية لهذه اللغة للتعبير عن أغراضهم المختلفة. أما الوقوف عند المحرمات التي زادت على ما هو حلال في اللغة فإنما هو تثبيط للهمم وسد لأبواب التغيير سدًا محكمًا، مما يؤدي إلى الاعتقاد أن هذه اللغة الشريفة لا يستطاع التعبير بها دون خطأ. وسنرى أن هناك ظواهر تركيبية (صرفية ونحوية) كان سيعطلها تخطئة الرهابيين لولا أن الله سلّم. ومنها:

١- الاشتقاق من الجامد والأعجمي:

وهذه ميزة عظيمة أبان عنها الأستاذ عبد الله أمين[2] ، ففيها اشتقاق من أسماء المعاني من غير المصادر وهي أسماء العدد وأسماء الأزمنة (١٥-١٨)، وفيها اشتقاق من أسماء الأعيان من أسماء الأمكنة والأقارب والقبائل (٢٣-٣١)، وفيها اشتقاق من أسماء أعضاء الجسم (٣٣-٥٢)، ومن أسماء الأصوات (١٢٥)، ومن حروف المعاني (١٤١)، ومن حروف المباني (١٤٤-١٤٦) وقله

---

(١) رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ط٣، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٤

(٢) عبد الله أمين: الاشتقاق، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦م، والأرقام التي سترد من صفحاته

أشار أبو علي الفارسي ثم تلميذه ابن جني إلى أن العرب اشتقت من الأعجمي كما تشتق من أصول كلامها، وأورد أمثلة كثيرة منه[1].

غير أن الرهابيين كانوا يفزعون إذا استخدم كاتب أو شاعر هذه الإمكانية ويعيبونها عليه، فقد عابوا على أبي تمام قوله: (تفرعن الأجلُ)، فعابها خمسة من الشراح والنقاد وأجازها المعري[2].

كما عدّ بعضهم هذه الميزة عيبًا عند المتنبي، فقد عد من أخطائه (!) أنه «اشتق من الجامد ومن أسماء الأعيان كالقرط والتمر واللحم (...) واشتق فعلاً على وزن (تديَّر) ثم أتى باسم الفاعل منه وجمعه فقال: المتديربها، ومعناها المتخذيها دارًا»[3]. والعجيب أن هذا الخوف وصل إلى المجمع القاهري الذي أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان في العلوم للضرورة (!) ثم عاد بعد دهر فأجازه من غير تقييد[4].

٢- في الجمع:

كان جمع المصدر في الفصحى قليلاً، وقد ذكره سيبويه فقال: «وهم قد يجمعون المصادر فيقولون: أمراض وأشغال وعقول، فإذا صار اسمًا فهو أجدر بأن يجمع بتكسير»[5].

---

(١) ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ١٩٥٦م جـ١ / ٣٥٨ والمنصف شرح كتاب التصريف للمازني، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، مصطفى الحلبي ١٩٥٤ جـ١ / ١٨٠ - ١٨١، وانظر عباس: الموسوعة العربية الفصحى المعاصرة ٣٢ - ٣٥

(٢) انظر ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي، تح محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف ١٩٦١ جـ٣ / ١٦ وحواشيها، والآمدي: الموازنة بين الطائيين، تح السيد أحمد صقر، القاهرة دار المعارف ١٩٦١ جـ١ / ٢٢٧ - ٢٢٨

(٣) علي محمد علي فخر: الأخطاء النحوية والصرفية في شعر المتنبي، ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، بالقاهرة، ١٩٧٩م، ص ٤١٥

(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا، إعداد محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي ١٩٨٤م، ص ١٠ - ١١

(٥) كتاب سيبويه، تح عبد السلام محمد هارون، القاهرة (ط٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٧٥ - ١٩٧٩م، جـ٣ / ٤١٠، وانظر شرح المفصل لابن يعيش، القاهرة ط المنيرية جـ٥ / ٧٤م

وشارح سيبويه يقول: «قد تجمع المصادر إذا كانت مختلفة أو ذُهب مذهب الخلاف. وقال الله عز وجل: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أراد. ظنونًا مختلفة. ويقال: العلوم والأفهام، في أشباه لذلك كثيرة»[1] . والفيومي يؤكد ذلك « .. لأن ضربًا يخالف ضربًا في كثرته وقلته، وعلمًا يخالف علمًا في معلومه ومتعلقه، كعلم الفقه وعلم النحو (...) وكذلك الظن يجمع على ظنون لاختلاف أنواعه، لأن ظنًا يكون خيرًا وظنًا يكون شرًا»[2] ومستخدمو العربية المعربة يستخدمون هذه الإمكانية؛ كالفارابي وابن سينا وابن فورجة وأبي الصلت الأندلسي والفخر الرازي والكمال الفارسي والشهاب القرافي ويحيى ابن حمزة وابن خلدون وعلاء الدين الطوسي[3] وبعد ذلك نجد اليازجي يخطئ (بعد بذل الجهود)؛ لأن المصدر «لغير المرّة والنوع لا يثنى ولا يجمع، فما سمع منه مجموعًا يحفظ ولا يقاس عليه»[4] !!

ومما هو قريب من ذلك جمع ألفاظ العقود من العدد. فنجد ابن سينا (ت٤٢٨هـ) يستخدم (دور العشرينيات)[5] ، ثم نجدها في كتب الفقه. ونجد من يعدها خطأ، فينبري لهم النووي موضحًا المسألة، قال: «قولهم في كتاب الزكاة (في المتين: هي أربع خمسينات وخمس أربعينات) وهذا قد أنكره بعض أهل العربية قال: (لايجوز جمع الخمسين والأربعين ونحوهما) وهذا الإنكار ضعيف؛ والصواب جوازه، وقد حكاه ابن برّي وغيره عن سيبويه قال: كل مذكر لم يجمع جمع تكسير يجوز جمعه بالألف والتاء قياسًا كحمّام وحمّامات. فيجوز: أربعينات ونحوها»[6] وبعد ذلك نجد هذه الطريقة من

---

(١) السيرافي شرح كتاب سيبويه، جـ١ تح رمضان عبد التواب وآخرين. القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م. ص ٦٤

(٢) الفيومي: المصباح المنير، تح عبد العظيم الشناوي، القاهرة دار المعارف ١٩٨٤م مادة (ق ص د)

(٣) العربية الفصحى المعاصرة ٦٩ - ٧٠

(٤) إبراهيم اليازجي: لغة الجرائد، القاهرة ط توفيق الزيدي ١٩٢٧م ص ١٥

(٥) ابن سينا القانون في الطب، تح إدوارد القش. بيروت مؤسسة عز الدين ١٩٧٨م جـ٤ / ١٩٠٠

(٦) النووي تهذيب الأسماء واللغات ، القاهرة ط المنيرية ج ٣ ق ، ص ١١٧

التعبير عند ابن قاضي شُهبة في سرده حوادث عام ٨٠٦هـ قال: «ولم يزل المطر متواترًا أول الأربعينيات إلى أن بقي منها يومان»[١].

٣- في النسب:

النسب إلى المفرد هو الغالب قديمًا وحديثًا في العربية، ومع ذلك وجدت ألفاظ منسوبة إلى جمع مثل: أنصاري ومدائني وكلابي ومعافري وملامحي. أي أن في العربية الفصحى إمكانية النسب إلى الجمع سواء كان في الحرفة أو غيرها، استعملت هذه الإمكانية في كل العصور إرادة للتمييز ورغبة في إزالة اللبس. ومع ذلك يصيب الرهاب قسمًا من القدماء والمحدثين: لغويين وغير لغويين؛ فيغلّطون هذه الظاهرة[٢]. إذ نجد في تراثنا: حمام بيوتي، وخصلة ملوكية، وطعام رياحي، وطبع ملائكي، ومسك خزائني، وعلل أورامية، وأنماطي، وصناديقي، وقدوري، وأقفاصي، وسيوري، وصَوغ طِباعي، وأمور تعاليمية، ومناظرية، وقشوري، وبول صفائحي، وأعضاء عروقية، ولحم غددي، ورسائل إخوانية، ونعم أنفسية، وآفاقية، وأحكام فروعية، وقول خُطَبي، وجرائحي، وأسناني، وبنية قواعدية، وحقيقة بلدانية، وعلاج عقاقيري، وألفاظ شوارعية، وسُبّة عشائرية.

في العربية نسب بإضافة الألف والنون والياء، لكن بعض القدماء كالأزهري زعم أن مثل: «بَرّاني وجَوّاني ليس من قديم الكلام وفصيحه»[٣]، كما زعم بعض المحدثين أن هذه الصيغة مثل رباني ونوراني وجوّاني ظهرت بعد عصر الاحتجاج[٤] - ولم يعلم بقول الأزهري - وقال آخر: إن هذه

---

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة. دمشق المركز الفرنسي للدراسات العربية، ج٤ ص ٣٥١.

(٢) انظر بحثًا وافيًا عنها في كتابنا العربية الفصحى المعاصرة ٧٣-٩٢.

(٣) هذا النقل عنه في لسان العرب لابن منظور (ط دار المعارف) (ب ر ر) ص ٥٤.

(٤) محمد المبارك فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت دار الفكر ١٩٦٨م ص ١٣٩، وحلمي خليل المولّد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام، إسكندرية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ ص ٩٩

الطريقة منقولة عن الآراميين والسريانيين في عهد الأمويين والعباسيين[١]
وهذا غير صحيح، فبعض العرب ينسب الممدود بالنون مثل: صنعاني وبهراني في صنعاء وبهراء[٢]. ونقل سيبويه عن أستاذه الأخفش الكبير «أنه سمع من العرب من يقول في الإضافة إلى الملائكة والجن جميعًا: روحاني. وللجميع رأيت روحانيين»[٣] ثم بعد ذلك هي طريقة خاصة لإضافة دلالة جديدة للنسب لا تدل عليها الصيغة الخالية من الألف والنون «فمن ذلك قولهم في الطويل الجمّة: جُمّاني، وفي الطويل اللحية: لحياني، وفي الغليظ الرقبة: رقباني»[٤]. ونقل ابن الأثير «عن بعض التابعين أنه قال: من أصلح جوّانيه أصلح الله برّانيه. قال ابن الأثير: أي باطنًا وظاهرًا سرًا وعلانية. وعني بسرّه وبرانيه علانيته، وهو منسوب إلى جوّ البيت، وهو داخله، وزيادة الألف والنون للتوكيد»[٥].

٤- في تعريف الألفاظ المبهمة:

هل يتخيل القارئ التراث العربي العظيم المتنوع وقد خلا من: البعض والكل والغير؟ هذا التخيل ممكن لو نجح الرهاب الموجود عند الأصمعي وخلفائه في نفيها من صفحاته. وإذن سيكون المنشئ بحاجة إلى أن يضيف بعد كل واحدة من هذه الثلاث - وغيرها - كلمة ثانية، دون أن تكون (ال) للعهد بينه وبين المستقبل. نُقل عن الأصمعي: «قرأت في آداب ابن المقفع فلم أر لحنًا إلا في موضع واحد، وهو قوله: العلم أكثر من أن يُحاط بكله فخذوا

(١) رمسيس جرجس (النسب بالألف والنون) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج١١ (١٩٥٩) ص ١٨١. وأورد ١١٣ لفظًا منسوبًا بهذه الطريقة.

(٢) كتاب سيبويه ٣ / ٣٣٦

(٣) كتاب سيبويه ٣ / ٣٣٨.

(٤) سيبويه ٣ / ٣٨٠ ودرة الغواص للحريري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة نهضة مصر ١٩٧٥م ص ١١٢ وحاشية الصبان علي شرح الأشموني، القاهرة ط عيسى الحلبي جـ٤ / ٢٠٢. وعباس حسن النحو الوافي، القاهرة: دار المعارف جـ٤ / ٧٤٥

(٥) لسان العرب (ج و ا) ص ٧٣٤، وفي كتابنا ٩٣ - ٩٤ أمثلة حديثة

(البعض)»[١] ، ويرى المعري أن الكلام القديم يفتقد هذا، وأن الفارسي يجيزه، وكذلك القياس اعتماداً على بيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وهو من عصر الاحتجاج[٢] .

لكن المؤلفين يستخدمون ما نهى عنه الأصمعي، وبعضهم يذكر ذلك ويعلن خجله من استعماله، فها هو الزجاجي (ت٣٤٠هـ) يقول: «إنما قلنا (البعض والكل) مجازاً على استعمال الجماعة له مسامحة، وهو في الحقيقة غير جائز. وأجود من هذه العبارة: بدل الشيء من الشيء وهو بعضه (...) فأما بدل البعض من الكل فقولك...»[٣] . ولا تعليق لنا على (الجودة) إلاّ: لماذا لم يستخدمها في كتابه مادامت (أجود)؟! السبب أنها طويلة ومعقدة وصعبة الفهم. وبعد دهر أنكر الحريري في الدرة (الغير)[٤] . وبعض العقلاء من الفقهاء يؤيد ذلك بالاستعمال وبالمنطق، فها هو النووي (ت٦٧٦هـ) بعد أن يتحدث عن المانعين استعمال هذه التعابير يقول: «وعندي أنه تدخل اللام على غير وكل وبعض فيقال: فَعَلَ الغيرُ ذلك، والكل خير من البعض. والألف واللام هنا ليست للتعريف ولكنهما المعاقبة للإضافة. ثم إن الغير يُحمل على الضد، والكل يحمل على الجملة، والبعض يحمل على الجزء. فصلَح دخول الألف واللام من هذا الوجه»[٥] . وهناك حديث ممتع للشيخ عبد الرحمن تاج عن «القول في (غير) وحكم إضافتها إلى المعرفة ودخول (ال) عليها»[٦] .

---

(١) أبو العلاء المعري. عبث الوليد. القاهرة. النهضة المصرية ١٩٧٠، ص ١٩٦- ١٩٧ وانظر هذا النقل عن الأصمعي في لسان العرب، مواد: ب ع ض ، ك ل ل ، غ ي ر ، وفي المزهر ٢/ ١٥٩ .

(٢) رسالة الغفران، تح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، القاهرة. دار المعارف ١٩٧٧ ص ١٥٩ .

(٣) الزجاجي. كتاب الجمل في النحو، تح علي توفيق الحمد، إربد. مكتبة الأمل ١٩٨٥، ص ٢٥ وانظر ٢٣، ٢٤ .

(٤) درة الغواص ٥٥

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ، جـ٢ ق٢ ص٦٥-٦٦ وإلى مثل هذا ذهب الشهاب الخفاجي في شرح الدرة (ط استانبول) ص ٦٩

(٦) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جـ٢٥ (١٩٥٩) ص ٢٨-٢٩

هذه الظاهرة مستعملة في تراثنا نثراً وشعراً من القرن الأول حتى أيامنا هذه، ولكن الرهاب لمّا ينته؛ فها هو محقق (الخصائص) يعد من هنات ابن جني استعماله البعض والكل![1] ثم نجد الرهاب يعم بالتخطئة هؤلاء الأعلام سيبويه والفراء والمبرد وابن السرّاج وابن دريد وابن الأنباري وابن فارس وعبدالقاهر الجرجاني والعكبري وابن عصفور وابن مالك وابن هشام وابن عقيل وخالد الأزهري والسيوطي والأشموني والصبان. فيورد أسماءهم مصحوبة بالجريمة التي ارتكبوها، وخاتمًا بالحكم النهائي أنه «لا يجوز إدخال (ال) على كل وبعض وفقًا لرأي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني؛ لأن ذلك أوفق للسماع، حيث لم يرد في كلام العرب الكل ولا البعض»[2]!! ولا تعليق إلا: لماذا اضطرت هذه الكوكبة من العلماء الأفذاذ إلى استخدام هذه الظاهرة إلا لأنها أوفق في التعبير.

ولم يخفّ الرهاب في القرن الحادي والعشرين؛ فها هو العالم الجليل عبدالفتاح سليم ينتقد خمسة من كتب التصويب اللغوي في العصر الحديث؛ لزهدي جار الله وإبراهيم درديري ومحمد أبو الفتوح شريف، ومعجم الأغلاط اللغوية المعاصرة لمحمد العدناني، ونسيم نصر. فيلوم أولهم لاستخدامه (البعض والكل)[3]. ويخطئ الثاني لاستعمالهما ولإجازتهما فيقول: «وهذا إباحة لاستعمال الكل والبعض وهو غير فصيح، وخلاف المشهور في اللغة»[4]، ويلوم الثالث على ذلك أيضًا[5] . ويلوم العدناني على استخدام (الغير)[6]، وكذا صنع مع خامسهم[7] .

(١) مقدمة محمد علي النجار للخصائص، ص ٣٨

(٢) عدنان محمد سلمان «دراسات في اللغة والنحو»، جامعة بغداد ١٩٩١م، ص ١٩٦ - ١٩٨

(٣) عبد الفتاح سليم: في النقد اللغوي ٣٩ - ٤٠

(٤) في النقد اللغوي٦٧

(٥) في النقد اللغوي ٨٠

(٦) في النقد اللغوي ٢٢٧

(٧) في النقد اللغوي ٢٩١

هذه عينات من الرهاب في هذا الجانب. ولا أزعم لنفسي الاستقصاء. وأكتفي بالإشارة إلى غيرها في موضوع تضمين حروف الجر، أو تبادل أماكنها حين تتعلق بالأفعال ومشتقاها، فأما الأفعال والمشتقات فلا تكاد تقف عند حصر، وأما حروف الجر فمعدودة. والمصابون برهاب الفصحى يزعمون أحيانًا أنها نتيجة ترجمة حرفية غير دقيقة من لغة أوروبية حديثة. فإذا اختبرت هذا الزعم وجدت أن الأفعال المزعومة في اللغة الأوروبية المعينة لا يستخدم حرف جر! ووجدت شواهد لهذه الظاهرة في تراثنا[1] .

ثانيا: رهاب الهمزة:

الهمزة - التي تسمى ألفًا في اللغات السامية - صامت حنجري انفجاري، ينتج بإغلاق ممر هواء الزفير في الحنجرة إغلاقًا محكمًا يليه فتح للممر. وقبل اختراع الخليل (ت ١٧٠هـ) رمزًا جديدًا هو صورة مقتطعة من حرف العين (ء) كان هذا الرمز يكتب بالألف دائما (ا) في الرسم العثماني أينما وقع في الكلمة[2] .

هذا عند المحققين الذين ينطقونها نطقًا انفجاريًا. أما عند المسهّلين فكانوا يرسمون رموز الحركات الطوال عوضًا عن الألف مثل: يومن، يوذي، سولك، جزاوهم، شعاير، ملايكة[3] . وقد لا يكتب في الكلمة شيء مثل: يسل، الخاطون، المستهزون، الافدة[4] . ثم جاءت المرحلة التي استقر عليها كتابة هذا الرمز منذ الخليل، بكتابتها على أماكن هذه الحركات الطوال ولكن دون أن توضع على كرسي مثل: خطيـئـة ، بريـئـا[5] .

---

(١) انظر مثلاً أثر علي وأكد على في كتابنا العربية الفصحى المعاصرة ص ١٩٢-٢٠٨ .

(٢) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية (ط٢)، عمان. دار عمّار ٢٠٠٣م ص ٢٩٤ - ٣١٥

(٣) رسم المصحف ٣١٥، ٣٥٥

(٤) رسم المصحف ٣٥٦

(٥) رسم المصحف ٣٦٣

ونجد الرمز منفرداً في وسط الكلمة مثل: يدرءون، رءوس، يشاءون، جاءوك، ءاباؤهم، وأما العدد (١٠٠) فقد كتب مأة، ومائة، ومئة[١].

فإذا تركنا خط المصحف إلى غيره وجدنا اختلاف العلماء القدماء في كتابتها، وفي القواعد التي وضعوها، فإذا هي تتشعب «تشعبًا لا نظير له، ولم تتطابق القواعد التي يذكرها واحد منهم مع قواعد الآخر تطابقًا تامًا، ولم تخل قواعدهم من القول بالجواز»[٢] فصارت كتابة الهمزة رهابًا؛ إذ ألفت عشرات الكتب في العصر الحديث في قواعد كتابتها، وكلها متأثر بكتاب (المطالع النصرية للمطابع المصرية) من تأليف الشيخ نصر الهوريني (ت ١٢٩١هـ)، هذا علاوة على ما جاء في كتب وزارات التعليم. ومؤلفو هذه الكتب قد «أسرفوا في ذكر التقسيمات والتفريعات التي تربك القارئ وتوقعه في شيء غير قليل من الحيرة والغموض»[٣].

توزيع رهاب الهمزة على ثلاثة محاور:

المحور الأول: المبالغة في كتابتها أول الكلمة، وإن كان ترك كتابتها لا يغير المعنى، مثلاً لو أنك كتبت: احمد، وايمن، وانت، وانتم. أتلتبس هذه الكلمات بغيرها؟ ليس هذا بيت القصيد، بل إن المبالغة أدت إلى الغلط المحض في أمثال: الإستفهام، وإقتصاد، وإنتظار، وإجتماع، وإهتمام، وإبن، وإسم، وإمرأة، وإثنان. وهذه الأسماء لا تنطق فيها الهمزة ولا تكتب[٤].

---

(١) رسم المصحف ٣٥٣.

(٢) رمضان عبد التواب: مشكلة الهمزة العربية، القاهرة: الخانجي ١٩٩٦م ص ٥٣. بعد ذلك عرض لقواعدها عند ابن قتيبة والصولي وابن درستويه وابن جني ثم في صبح الأعشى ص ص ٥٣-٨ وعرض غانم قدروي: رسم المصحف ١٣، ١٤، ٣٢٠، ٣٢٤ لاختلاف ثعلب وابن ولاد والزجاجي في كتابتها

(٣) مشكلة الهمزة العربية ٧٩، وقد عرض بعد ذلك لستة كتب ونقد طرائقها ٨٠ - ٩٥

(٤) انظر مثلاً ابن جني سر صناعة الإعراب، تح محمد الزفزاف ومصطفى السقا وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة: مصطفى الحلبي ١٩٥٤ جـ١ / ١٢٦ - ١٢٩، والاستراباذي شرح شافية ابن الحاجب، تح محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ جـ٢ / ٢٥١

المحور الثاني: خطأ كسابقه، إذ صارت تكتب في بداية (ال) التعريف، بل إن المدرسين والمدرسات حين يعلمون الأطفال كتابة الألفباء، يكتبون لهم: أ ب ت ث ..إلخ. فإذا قلت: إن هذا خطأ أجابوك «أتكون أنت أم الحكومة أحكما؟»[1] .

أما المحور الثالث: - وهو أكبرها - فإصرار كثير من المدرسين في الجامعة والتعليم العام، وكثيرين ممن يقومون على تحرير دوريات عربية (محترمة)، نقول: إصرارهم على كتابة همزة البداية، وكذلك إلزام الكُتّاب طريقة واحدة في كتابة الهمزة المتوسطة حتى إن كتبت على حرفين، وكتابة الرقم (١٠٠) هكذا (مائة)، مع وجود قرار من المجمع اللغوي يوصي بكتابتها بغير ألف[2] . فها هو عبد الفتاح سليم يعيب على مؤلف خطأه في رسم (مئة) لأن العلماء اصطلحوا على كتابتها بألف زائدة بعد الميم هي ومثناها!![3] وآخر يريد من العاملين في جامعة القاهرة العودة إلى الصحة اللغوية في أمور كثيرة من بينها تمييز العدد ، فيقول: «مائة وألف: يضاف إلى مفرد مجرور: مائة كتاب (...) مع مراعاة ألف زائدة إملائيًا في مائة، وإمكانية فصلها: ثلاث مائة»[4] .

وهذا ما سلم منه القدماء.

هناك نسخة من القرآن الكريم قديمة بخط العلامة حمود عباس المؤيد[5] ، وفيها نجد أن همزات البداية لا تكتب في الغالب، وأن (مئة) كتبت على أسماء السور بغير ألف مرارًا [ص٣، ٥١، ١٥٢، ٤٥٥]، وأن الهمزة في موقع الوسط إذا وليها واو مد كتبت على الواو مد كتبت على الواو نفسها بغير زيادة مثل: رؤف (٢٠٦،٢٠٨).

---

(١) شطر بيت للمرحوم إبراهيم أبو ناب

(٢) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا، ص ٣١٦

(٣) في النقد اللغوي ١٣

(٤) عودة إلى الصحة اللغوية ٨٧

(٥) القرآن الكريم بخط العلامة السيد حمود عباس المؤيد جمعًا بين قراءتي نافع وعاصم، عن نسخة فريدة بجامع الأبهر في صنعاء اليمن (مصورة) Chicago: The Open School, 1991

وإذا تأملنا في (مصحف الملك فهد)، وهو الأكثر انتشاراً في بلاد المسلمين، سنجد أن همزة البداية لا تكتب غالبًا، وأن همزة الوسط إذا وليها واو مد أو ياء مد كتبت على السطر يليها رمزا حركتا المد مثل: ﴿ان الله بالناس لرءوف بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ﴿تبرءوا منا﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿رءوس اموالكم﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿بني اسراءيل﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿فادرءوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] .

والهمزة التي تعودنا كتابتها على حامل نسميه كرسيًا أو نبرة مثل. سيئة ، ليس لها حامل في المصحف، بل تكتب في داخل الحرف نفسه مثل: سيئة، خطيئة، شيئا، العين. وقد يكون لها حامل لكنها خارجه مثل: شعائر.

وإذا انتقلنا إلى بعض قدمائنا ممن كتب عن رسم هذا الصوت، سنجد ابن قتيبة (ت٢٦٧هـ) يذكر أن كتّاب زمانه[1] يكتبون على حد سواء مثل: يقرؤه ويقرأه، يملؤه ويملأه، هذا مَلّؤهم وملأهم، يشنؤك ويشنأك، ويكلؤك ويكلأك. ويرى أن الذي عليه متقدمو الكتّاب وخط المصحف: يقرؤن، يهزؤن، يملؤن، هم مستهزؤن (وبعض كتب مستهزئون). واختلفوا في: مؤنه وشؤن جمع شأن، ورؤس؛ كتبه بعضهم بواوين وكتبه بعضهم بواو واحدة، وكلٌّ حَسَن[2] . وفضّل ابن قتيبة كتابة لئيم ورئيس وبئيس وزئير بيائين! كما ذكر الخيارَ في كتابة يسأل ويسئل، وفضّل كتابة مشؤم ومسؤل بواو واحدة[3] .

إذا جئنا إلى بعض الكتب المحققة وجدنا المحققين جميعًا قد غيروا الهمزات من حالتها الأولى إلى الحالة الحاضرة، التي فيها حذلقة؛ مثل: كتابة رمزين بدلاً من رمز واحد للصوت الواحد، وكتابة (١٠٠) مائة بالألف مما يعني أن بعض المخطوطات القديمة المؤلف نفسه، وهو من هو في العلم، فبالله كيف يسوغ لنا أن نزعم أنهم لا يعرفون قواعد كتابة الهمزة. وإليك أمثلة:

---

(١) ابن قتيبة: أدب الكاتب، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ط السعادة ١٩٦٣م، ص ٢١٠

(٢) أدب الكاتب ٢١١ .

(٣) أدب الكاتب ٢١٢ وقابل بـ ابن درستويه: كتاب الكتاب، تح إبراهيم السامرائي وعبد الحسين الفتلي، الكويت دار الكتب الثقافية ١٩٧٧م، ص ٢٤ - ٣٤

في كتاب الانتصار لابن ولاَّد (ت٣٣٢هـ)[1]: لم يذكر المحقق شيئًا عن التغيير الذي أحدثه، غير أن صورتي المخطوطتين تبينان أن همزة البداية لا تكتب مثل: اقوال، احمـد، ان، الى، الادغام، الاخفاء. وفي الوسط لا تكتب أحيانًا وتثبت أحيانًا مثل: راي ومسئلة. وهمزة الختام تثبت وأحيانًا لا مثل: اليا .

في كتاب الإغفال للفارسي[2] (ت٣٧٧هـ): لم يذكر محققه شيئًا عن التغيير الذي سيحدثه غير أن صورة المخطوطة الأم - يعود زمنها إلى القرن السادس الهجري - تبين أن همزة البداية لا تكتب، وهمزة الوسط تسهل مثل مسايل.

كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لابن أيدَمر (ت بعد ٧٠٥هـ) بخط المؤلف نفسه في خمسة مجلدات[3] . همزة البداية تكتب غالبًا. والهمزة الممدودة في بداية الكلمة لا تكتب (آ) بل تكتب (أا) مثل: أاخ الرجال، أارآؤكم، أاساد، أاليت. أما الوسطى فتسهل وتكتب ياءً أو واوًا مثل: خلايق، اومن، قايلوها، وكثيرًا ما تكتب خارج الحامل مثل: عانـٍشة، دوابـــٍـر، النوابـٍب، المدايح. وأحيانًا تكتب وسط الكلمة بغير حامل مثل: ردـــٍــة.

نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر لليوسفي (ت٧٥٩هـ): يقول محققه[4] متحدثًا عن المخطوط: عدم وجود قاعدة متبعة في كتابة الهمزة؛ فهي تسقط في: إمرا، بكا، ما (...) وتثبت الألف في هاؤلاء...إلخ.

أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (ت٧٦٤هـ): لم يذكر المحققون[5] شيئًا عن التغيير، لكن صورة النسخة الأولى المكتوبة في ٩٧٣هـ تبين أن همزة البداية لا

---

(١) الانتصار لسيبويه على المبرد، تح زهير عبد المحسن سلطان، بيروت: الرسالة ١٩٩٦م .

(٢) تح عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم، دبي: مركز جمعة الماجد ٢٠٠٣م

(٣) صورة معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت، إشراف فؤاد سزكين ١٩٨٨م، مج١ ص ٥، ٧٣، ١٨٠، ١٩٦، ١٩٧ - ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ومج ٥ ص ٨، ٢٩-٣٣، ٦٤ .

(٤) تح أحمد حطيط، بيروت عالم الكتب ١٩٨٦م ص ١٠٣

(٥) حققه علي أبو زيد ومحمود سالم محمد ونبيل أبو عمشة ومحمد موعد؛ دبي مركز جمعة الماجد ١٩٩٧م

تكتب، وبعض المتوسطة تسهل مثل: الفرايض. كما تبين صورة النسخة المكتوبة في ٨٣٣هـ أن الهمزة الأولى تكتب، وبعض المتوسطة تسهل في مثل: الصنايع وفي بعض الأخيرة أيضًا مثل: دريًا .

تمثال الأمثال للشبيبي (ت٨٣٧هـ): يذكر المحقق[١] أن النسخة كتبت بعد وفاة المؤلف بثلاث سنين، ويذكر المحقق أنه غيّر أمثال: (فوايد وعايشة وزايدة ووايل) إلى فوائد وعائشة وزائدة ووائل، وأنه غير مراة إلى مرآة[٢] .

رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): لم يذكر محققه[٣] التغييرات التي أحدثها غير أن صورة النسخة الأولى بخط السخاوي (ت٩٠٢هـ) تبين أن الكاتب لا يثبت الهمزتين الأولى والأخيرة، وأنه يسهل الوسطى مثل: قضايه ومسيلته .

نسمة السَحَر في ذكر من تشيّع وشعر ليوسف بن يحيى الحسني[٤] (ت١١٢١هـ): تبين صورتا النسختين - بخط المؤلف - أنه لا يكتب همزة البداية مطلقًا وأكثر الهمزات النهائية، وقد يسهل الوسطى.

نزهة الفكر للحضراوي (ت١٩٠٩م): كان المحقق يغير كتابة الهمزات ويعيد كتابة الأعداد فصيحة، خلافًا للنسخة التي بين يديه، وقد أشار إلى ذلك أحيانًا[٥] .

أورد محمد خير رمضان يوسف في كتابه (**معجم المؤلفين المعاصرين..**)[٦] نماذج من خطوط المؤلفين نتبين منها أن: محمد جمال القاسمي (ت١٣٣٢هـ)

---

(١) تح أسعد ذبيان، بيروت: دار المسيرة ١٩٨٢م جـ١ / ٨٠

(٢) نفسه جـ١ / ٨٧ - ٨٨

(٣) تح علي محمد عمر، القاهرة: الخانجي ١٩٩٨م .

(٤) تح كامل سلمان الجبوري، بيروت: المؤرخ العربي ١٩٩٩م

(٥) نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر. تح محمد المصري، دمشق: وزارة الثقافة ١٩٩٦م، ق٢ ص٣٩، ٥٧، ٢٣٥ مثلاً

(٦) معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طُبع منها أو حُقق بعد وفاتهم (وفيات ١٣١٥ - ١٤٢٤هـ - ١٨٩٧ - ٢٠٠٣م)، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠٤م ص ٨٤٤، ٨٤٦، ٨٤٩، ٨٥١، ٨٥٣، ٨٥٥ - ٨٥٨، ٨٦٠

لا يكتب همزة البداية، وأن أحمد بركات (ت١٣٤٨هـ) لا يكتب همزة البداية أحيانًا كثيرة، وأنه يسهل بعض المتوسطة مثل: الخلايق، وأن جميل العظم (ت١٣٥٢هـ) لا يكتب همزات البداية وكذلك فعل محمد سعيد القاسمي (ت١٣١٧هـ) ، والمنيني (ت١٣١٦هـ)، ومصطفى الحكيم (ت١٣٤١هـ)، وأمين محمد سعيد (ت ١٣٨٧هـ)، ويوسف النبهاني (ت١٣٥٩هـ) .

وبعد: ماذا يضير الفصحى إن قدمت قواعد الهمزة في صفحتين؟! أو تخففنا من كتابة همزة البداية؟ وإن كتبنا مثل: مسئول وشئون ورءوس ومئة هكذا!؟ خصوصًا أن بعض ما قلناه قد قال به القدماء الذي نعتد بآرائهم وقالت به بعض المجامع اللغوية. لكنه الرهاب أعاذنا الله منه!

ثالثا: رهاب دراسة اللهجات الحديثة:

دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة علمية تعني دراسة الواقع اللغوي الحي، الذي لا يجوز تجاهله أو إغفاله سواء كانت هذه الدراسة اللهجية جغرافية تهتم ببقعة جغرافية معينة، أو اجتماعية تهتم بطائفة من طوائف المجتمع. والمكتبة العربية فقيرة أشد الفقر في هذا النوع من الدراسات. مهما يكن منهجها، ومهما يكن القطاع المدروس فيها: الصوت، الصرف، بناء الجملة، الدلالة، علاقتها بالثقافة، علاقتها بالدين...إلخ.

والدراسات التي تمت في أحضان بعض الجامعات العربية - على قلتها- ظلت حبيسة أرفف المكتبات والمخازن في الكليات والأقسام التي أجازتها، فزادت القلة قلة. وللعزوف عن دراستها سبب علمي لا يذكره الباحثون عادة، هو أن دراسة اللهجات الحديثة تتطلب صبرًا جميلاً في الملاحظة والاستقصاء ثم الاستنتاج بعد ضم الشبيه إلى الشبيه، وفوق ذلك تمييز المختلف في نطاق المتشابهين، علاوة على الدراسة النظرية التي لابد منها سواء في مجال الدرس اللهجي أو في مجال قطاعات الدرس اللساني عامة، في حين أنه يسهل على

الباحث في غير هذه الدراسات أن يمسك بالمراجع والمصادر - وكلها مكتوبة - فيصل إلى مبتغاه من أقرب طريق .

ثم بعد ذلك هناك السمعة السيئة التي علقت بدراسة اللهجات الحديثة، من حيث إن الاستعمار وأذنابه من المستشرقين والعملاء المحليين إنما يدرسونها كي يحاربوا بها العربية الفصحى لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة [1]، بأن يحلوا هذه اللهجات محل اللغة الشريفة، مما سبب رهاب دراسة اللهجات. إذ يتقدم الباحث طيب النية لدرس لهجي ما على استحياء وفي ذهنه كل المحظورات سلفًا، فيحاول أن يدفع عن نفسه تهمة محاربة الفصحى. وإليكم أمثلة من الدراسات اللهجية القليلة، وفي مقدمة كل منها ما بين صفحتين إلى نصف صفحة في نفي هذه التهمة والإبانة عن حسن النية:

- الخواص التركيبية للهجة أم درمان العربية، إعداد: كمال إبراهيم بدري ١٩٧٤م.
- الخواص التركيبية للهجة الشارقة، إعداد عبد الله علي مصطفى ١٩٨٥م .
- الخواص التركيبية للهجة طرابلس الغرب، إعداد عبد الله عبد الحميد سويد ١٩٧٧م .
- دراسة صوتية صرفية للهجة مدينة نابلس الفلسطينية، إعداد محمد جواد النوري ١٩٧٩م .
- دراسة صوتية صرفية في لهجة قبيلة الشايقية، إعداد بكري محمد الحاج ١٩٧٩م .
- دراسة صوتية للهجة مدينة بنغازي الليبية، إعداد أحمد طاهر حافظ ١٩٨٧م

---

(١) انظر في ذلك: بنت الشاطئ: لغتنا والحياة، القاهرة: دار المعارف ١٩٧١م، ونفوسة زكريا سعيد: الدعوة إلى العامية في مصر، ط٢، دار المعارف، إسكندرية ١٩٨٣م، وأنور الجندي: اللغة العربية بين حماتها وخصومها، القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٣م

دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر، إعداد عبد العزيز مطر ١٩٦٠م.

وهذه الرسائل السبع كلها مجازة في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وكلها غير منشور باستثناء الأخيرة التي قيض لها النشر مرتين بعنوانين مختلفين هما: (لهجات البدو في الساحل الشمالي) و(لهجات البدو في إقليم ساحل مربوط) والمحتوى واحد .

وكاتب البحث لا يبرئ نفسه من هذا الرهاب؛ ففي عمله (لهجة ذمار دراسة صوتية وصفية) قال: «ولا يظن أحد أننا بدعوتنا لدراسة اللهجات دراسة وصفية نعزف ضمن الجوقة الداعية إلى ترك الفصحى، أو ندعو إلى كتابة الفصحى باللاتينية، أو ندعو إلى الكتابة بالعاميات. فما هدفنا أولاً وأخيراً إلا خدمة الفصحى، والله سبحانه وتعالى أعلم بالسرائر»[1] .

وبغض النظر عن أن دراسة اللهجات الحديثة في حد ذاتها مطلب علمي، فإن دراستها دراسة جادة لا تهاون فيها مفيد في دراسة الفصحى؛ إذ قد تكشف عن جوانب لم يهتم علماؤنا القدماء الأجلاء بدرسها، وتكشف عن مصادر كثيرة من القراءات القرآنية التي لم تنسب إلى قوم أو قبيل، وتوضح - أو تكمل - جوانب من الدرس اللغوي القديم، كما تفيد في تعليم الفصحى على أسس سلمية؛ إذ إن معرفة المدرس بعادات طلابه اللغوية التي اكتسبوها تجعله قادراً على تلمس مواطن الضعف والقوة التي تحتاج إلى عناية منه في التدريس. وكل ذلك لا يمكن أن يؤتي ثماره المرجوة قبل الوصف الدقيق للهجات الحديثة على أسس علمية .

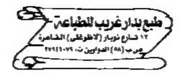
❁❁❁

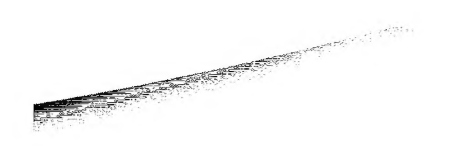
(١) ماجستير في كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٤م، ص٢، مثل ذلك: عائشة الدرمكية التطور الدلالي للألفاظ في لهجة أهل قريات، مجلة (نزوى) العدد ٤٦، أبريل ٢٠٠٦م، ص ص ٢٨٩ - ٢٩٠

ختام

هذه أهم جوانب رُهاب الفصحى حاولنا تجليتها، سائلين المولى عز وجل أن يبعدنا عنه، وأن يجعل أعمالنا خالية من النفاق. خالصة لوجهه الكريم، آمين!

ooo


طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص ب (٥٨) الدواوين



هذا الكتاب

سميت الكتاب ((فقه اللغة والثقافة العربية)) ؛ لأن بعضها خاص بالدرس اللغوي عند القدماء والمتأخرين من القدماء والمحدثين ، وبعضها الآخر متعلق بأوهام عند مؤرخي أدبنا القديم ، أو عند مترجمينا الذين يعيب بعضهم بعضاً في حين أنه يقع في أكثر مما رمى به غيره . وقدمت الأسطورة المعتصمية على غيرها ؛ لأن فيها شرحاً أظنه وافياً عن الأسطورة ، ثم تلتها بقية الأبحاث.

يضم الكتاب ثمانية أبحاث ، يجمع بينهما رباط واحد ، هو مساءلة بعض المسلمات السائدة في ثقافتنا العربية ، وهذه المسلمات ننزع عنها هذه الصفة ونحاكمها بميزان العقل ، وميزان العصر الذي أنتجت فيه . ولم يكن هذا بالأمر السهل ؛ لأن ثقافتنا المعاصرة طابعها الاجترار وعبادة الأسماء الكبيرة من السلف والخلف مع آرائهم ولو خالفت المعقول والمنقول .

د/ عبّاس عَلي السّوسْوَة